

5^{me} Année, No. 197

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الاقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الاخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣١ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ١٣٠١٣

الاريسالة

مجلة اسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 12 - 4 - 1937

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العدد ١٩٧ ، القاهرة في يوم الاثنين ١ صفر سنة ١٣٥٦ - ١٢ أبريل سنة ١٩٣٧ ، السنة الخامسة

الزواج

للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

لا أدري ماذا دها الناس ، فإنه يندر أن أسمع في هذه الأيام بزواج موفق ؛ فهل صار نظام الزواج غير صالح لهذا الزمن ؟ أم العيب في الناس لا في النظام ولا في الزمن ؟ ولا شبهة في أن للزواج عيوبه ، فما يخلو شيء في دنيانا هذه من عيب ؛ وإن له مناعب ؛ وإن مسئولياته لعديدة وثقيلة ، ولكن النجاة من المتاعب عسيرة في الحياة ؛ وإنه ليظن حقاً من يتوهم أنه يستطيع أن يحيا ويخلو مع ذلك من المتعبات سواء أتزوج أم آثر الوحدة والاستفراد . وأحسب أن كثيرين من الرجال والنساء أيضاً يقدمون على الزواج وهم يعتقدون أنه صفو لا كدرة فيه ، ومتعة لا تنقص ولا ينقصها أو يفسدها شيء ، وحلاوة لا تشوبها مرارة ، فتخيب آمالهم كما لا بد أن يحدث ، ويضجرون ويتأففون ويشكون وتلف أعصابهم فلا تعود تقوى على احتمال ما كان ظنهم ألا يكون . وهذا شأن كل من يتناول الحياة بخفة ، وواجهها بغير ما ينبغي من التيقن للاحتمال ، ومن الاستعداد للتشدد والجلد والمقاومة .

وقد كنت أتكلم في هذا وما إليه مع صديق فقال :
والحقيقة أن الزواج نظام ثبت إخفاؤه وقلة صلاحه في هذا

فهرس العدد

- صفحة
٦٠١ الزواج : الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني
٦٠٤ النجاح في القرن العشرين . : لاديب مجهول
٦٠٥ مصائر الحرب في اسبانيا . : بقلم باحث دبلوماسي كبير
٦٠٧ النفس وخلودها عند ابن سينا : الدكتور ابراهيم بيومي مذكور
٦١٠ الطور الفني في الأدبين { الأستاذ غري أبو السعود
العربي والانجليزي
٦١٣ الجباية في الاسلام : الأستاذ فارس بك الحوري
٦١٦ نقل الأدب : الأستاذ محمد إساف النشاشيبي
٦١٨ الديمقراطية : الأستاذ أديب عباسي
٦٢٠ أسبوع الجاحظ : لمندوب الرسالة
٦٢٢ تطور الحركة الادبية في فرنسا : الأستاذ خليل مندوي
٦٢٧ حديث الأزهار للفولس كار : ف . ف
٦٢٨ تاريخ العرب الأدبي . . . : الأستاذ رينولد نيكلسون
٦٢٠ لحة (قصيدة) : السيد عمر أبو ريشة
٦٢١ حكفا قال زرادشت . . . : الفيلسوف الألماني فردريك نيتشه
٦٢٤ حديث سمر (قصة) . . . : الأديب محمد فهمي عبد الطيف
٦٢٦ العالم الاسلامي اليوم - وفاة عبد الشعر الانكليزي
٦٢٧ صاحب الجلالة الملك فاروق يتحدث عن البلاد الاسلامية
القوش الآتية في الواحات المصرية
٦٢٨ في سنن الله الكونية (كتاب) : الأستاذ عبد الممهم خلاف

الزمن ، فقدرته لأنه ممن جر عليهم الزواج نكبات كثيرة يشق احتمالها ، ولكنني لم أر رأيه ، فقلت له : « لا تغلظ يا صاحبي فان كل زمن ككل زمن ، وهذه الاختراعات الكثيرة لم تغير شيئاً من حياة الناس وفطرم ، ولم تقلب الحقائق الاجتماعية ، وما خلاز من قط ممن يسعدهم الزواج ومن يشقون به ، ولا من الراضين والساخطين على هذا وغيره من أحوال الحياة ، وما زال الرجل كما كان ، والمرأة كما عهدنا آباؤنا وأجدادنا عفا الله عنهم ورحمهم ، ومع ذلك قل لي ماذا تطلب من الزواج وأنا أقول لك ماذا ينبغي أن تبلغ به ، أو ما لا بد أن يصيبك من خيره أو شره ،

قال : « أطلب الراحة والاستقرار . . . ماذا أطلب غير ذلك ؟ »

قلت : « إن الراحة مطلب لا سبيل إليه في الحياة ، وهي لا تكون إلا بالموت . على أن هذه لا تعد راحة مادام المرء لا يحسها ولا يدرك أنه مرتاح ، ولا يعرف حتى ما صار إليه ؛ والاستقرار كذلك عسير لأن حياتك كلها قوامها التحول والتغير ، وجسمك ونفسك وخواطرك وآمالك وشهواتك وكل ما فيك أو لك يتغير ، فكيف بالله يكون هذا الاستقرار ؟ وأين السبيل إليه ؟ »

قال : « إنما أعني الراحة النسبية والاستقرار بالقياس إلى حياة العزوبة والوحدة ،

قلت : « ولا هذه أيضاً . إن الزواج ليس أداة لراحة ولا وسيلة لاستقرار أو غير ذلك مما تتوهم ، وإنما هو نظام . فإذا كان يوافقك أن تحيا في ظل هذا النظام فتفضل وأهلاً بك وسهلاً ؛ ولكن يجب حينئذ أن تعرف أن له مقتضيات ، وأن توطن نفسك على الازدعان لها واحتمالها ، كما يخضع الجند للنظام العسكري ، ولم يقل أحد إن الجندية سبيل لراحة أو استقرار أو لذة ، أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى . وإنما هي نظام تقتضيه حياة الجماعة . وكل جندي يقول لنا إنه نظام شاق عسير ثقيل الرطاة ، ولكنه لازم ولا بد منه . والفرق بين الزواج والجندية أن الجندي يعلم أنه داخل في نظام لا لذة فيه ولا متعة له منه . وأنه سيلقي عناء ويكابد متاعب ، وأنه معرض للجلد والسجن ، بل للبوت حتى من غير حرب . ولكن طالب الزواج يبنى نفسه الأمانى المستحيلة فيلقى

خلاف ما كان يقدر ، ولو أنه وطن نفسه - كما يفعل الجندي - على التعب والنصب ووجع القلب ومعاناة المنغصات إلى آخر ذلك لسعد بالزواج ، ولقاز منه بلذات كثيرة ونعم جريئة ومتع يضن بها على النسيان . وقد ذكرت الجندية على سبيل التمثيل ، ولكن للجندية علاقة وثيقة بالزواج ، لأن الزواج غايته تنظيم أمور النسل اللازم للجماعة ، أى مد الجماعة بالعدد الكافي من الأفراد للقيام بأعباء حياتها ، فهو نظام تمهيدى للجندية . وأنا أستعمل الجندية هنا بالمعنى الأعم الأشمل ، وأعني كل فرد لا الذين يحملون السلاح ويسيطرون إلى القتال حين يدعون إلى ذلك - لا أعني هؤلاء وحدهم ، فإن كل فرد جندي للجماعة وإن لم يحمل سيفاً ولم يتقلد رمحاً ، إذا كان قد بقى في عصرنا هذا من يتقلد رماحاً . والواجب على كل حال أن يدرك المرء أنه بالزواج يكون كالجندي يعمل في شركة ؛ وللعمل نظامه . والعمل لا تطلب منه اللذة بل الثمرة ؛ والعمل لا يفيد الراحة بل التعب ؛ ولا آخر للتعب ما دامت الشركة قائمة تعمل وتؤدي ما هو منتظر منها . نعم يستطيع المرء أن يفوز بإجازة ، ولكن هذا ميسور في نظام الزواج : خذ إجازة كلما شعرت أنك تعب ، وامنع زوجتك مثل ذلك كلما بدالك أن أعصابها كلك .

فغجب وسألني : « كيف ذلك . . . إن هذا مزاح ،

فأكدت له أني جاد ، وقلت : « إنى أعيش مع زوجتي كما أنا صديقان ؛ وليس يسعني أن أفعل غير ذلك ، لأنها إنسان .

ولها حياتها المستقلة عن حياتي وإن كنا متعايشين تحت -

واحد . وأنا أحرص في حياتي معها على الاعتراف

الوجود المستقل فلا أحاول أن أفنى وجودها هذا وأبعله

يغيب في وجودي ؛ ولو تيسر لي هذا لما كان لي فيه أى لذة

لأنى خليق أن أشعر حينئذ أنى أغايش آلة لا إنساناً محساً

مدركاً يبادلني ما يسرنى أن أراه يبادلني إياه من العواطف

والاجساسات والخوارج . ولو أفنيت شخصيتها في شخصيتي

لا انحطت في نظري إلى منزلة الخدم الذين تطعمهم وتتقدم

أجرهم على أن يفعلوا ما تريد . ولا يجاوزوا مشيتك . وليست

زوجتي خادماً ولا آلة ، وإنما هي رفيق حياة ، أى صديق معين .

ولست أقول هذا تملقاً أو نفاقاً بل أقوله لأنى لا أفهم معنى

للزواج غير ذلك . كلا . لست أحاول أن أغلب إرادتي على

من يتقبل أصدقاؤه على علاقتهم ويحتمل أمرتهم التي تخالف مزاجه، ويوفق بين رغباته ورغباتهم - وما أكثر ما يتباين - ويظل مع ذلك صديقهم ويظلون هم أصدقاؤه، فلماذا لا يكون هذا حال الزوجين...؟ لماذا لا يحتمل منهما الآخر على العلل وهما بذلك أولى من الصديقين...؟ المسألة يا أخي أن الرجل يريد أن يسود، وأن المرأة تريد أن تتحكم، لأن هذا هو المودة، الجديدة. ولو تركا هذا وأهملاه فزل الرجل عن الرأي الموروث فيما ينبغي أن تكون عليه علاقة الرجل بالمرأة، وتركت هي ما تشير به «المودة» الحديثة من أن الست هي السيدة المطاعة والرجل هو التابع والخدام البذيل - لو تركا هذا وسارا في الحياة سيرة شريكين متعاونين على إنجاح الشركة واحتمال متاعها والصبر على بلاياها في سبيل مزاياها وفائدتها لارتاحا جدا ونعم بالحياة الزوجية.

فسألني: «هل أنت سعيد؟»

قلت: «إني سعيد لأنني لا أطلب من الزواج سعادة، ولو كنت أطلبها لشقيت على التحقيق؛ وقد تزوجت وأنا موطن نفسي على أن هذا واجب أؤديه كما أؤدى واجبي بالعمل في الصحافة وبالاشتغال بالأدب - واجب والسلام. فإذا فزت بمتعة فهذا فضل من الله، وإذا فاتني ذلك فما كنت أطمح فيه أو أرجوه. وقد أدخلت هذا في رأس زوجتي فهي تفهمه حق الفهم، وقد كان على أن أفهمها هذا في أول الأمر لأنني أردت من البداية أن أجنب سبيل الاخفاق. وقد أفلحت والله الحمد والشكر؛ فإذا حدثك نفسك بالزواج مرة أخرى فاصنع هذا»

فصاح: «أنا... أعوذ بالله يا شيخ!»

فقلت: «أرأني لم أوفق إلى إقناعك... لا بأس... المسألة في الحقيقة مرجعها إلى الاستعداد، ولو شئت لقلت إلى العقل والحكمة وسعة الصدر ورحابة أفق النفس»

فقال: «متشكر ياسيدي»

فعلت أنه غضب. ومع ذلك ماذا قلت... إني لم أزد على إبداء رأي، فإذا كان لا يحتمل هذا بل يعده تعريضا شخصيا به فلا غرابة إذا كان قد أخفق في زواجه

ابراهيم عبد القادر المازني

إرادتها لأنني لأحس حاجة إلى ذلك؛ وسبيل التفاهم لا إلا كراه، وأرأني أبلغ بهذا ما لا أبلغ بالقوة والضغط. ومطلبي ما هو أوفق لكلينا، لا ما هو أوفق لي وحدي، فإن الشركة لا تصلح بهذا الاستئثار، والزواج شركة على التحقيق، ولا يحسب أحد أن الرجل يضع في هذه الشركة أكثر مما تضع المرأة، وأنه لهذا مغبون فيها، فإن هذا خطأ، فليس السعي للرزق كل ما تقتضيه هذه الشركة، وإن المرأة لتبذل حياتها كلها لا جهدا لإنجاح الشركة؛ وحسبها الحمل والوضع. ولو أمكن أن يحمل الرجل لا يمكن أن يدرك هول ما تتحمل المرأة في سبيل هذه الشركة، ولكنه لا يحمل مع الأسف، فهو في الغالب لا يستطيع أن يقدر نصيب المرأة وما يكلفها الزواج وما يعرضها له، ولا كيف تضحي بها الحياة لثملا الدنيا بمثل ومثله عن لا يستحقون هذه التضحية

فترك هذا وقال: «ولكن ألا يجب أن يكون للبيت سيد... إن المركب يفرق إذا كان له رئيسان»

فقلت: «آه... حكاية التركي الذي جرد سيفه ليلة الزفاف وأطار به عنق القطة ليرهب الزوجة المسكينة... لا ياسيدي... ليس الأمر أمر سيد أو سيدة، فأنتم محل لذلك. وأين محل هذا ولكل من الرجل والمرأة عمل؟ وأصدفك فأقول إني لأدري كيف يمكن أن تجوز المرأة على الرجل أو يجوز الرجل على المرأة. أخل ذهنك من كل فكرة عن السيادة وأخل لها ذهنها أيضا... تفاهي معا... هي لها عملها وواجباتها التي لا تستطيع - حتى إذا أرادت - أن تشاركها فيها؛ وأنت لك عملك وواجباتك التي يعيها أن تشاركك فيها؛ وكل منكما يمضي بعد ذلك في طريقه لينهض بأعبائه الموكولة إليه. فأن يكون الاختلاط والاحتكاك والخلاف؟ وإذا حدث خلاف فلماذا لا يكون بالحسنى...»

قال: «والغيرة... أليست بلاء؟»

قلت: «طبعاً... والرجل أيضا يغار... أليس هذا بلاء...؟ فلماذا لا تضع نفسك في موضع المرأة وتنتظر إلى الأمور من ناحيتها هي أيضا... صحيح أن المرأة أسرع إلى الغيرة من الرجل وأن غيرتها أحمى، فبلاؤها لهذا أعظم، ولكن هذه طبيعتها ولا حيلة لها في ذلك، لأن الغريزة الجنسية في المرأة أقوى منها في الرجل إذ كانت هي منار حياتها. ثم إن الواحد

النجاح في القرن العشرين

لأديب مجهول

في قطعة تعد من أجمل نماذج النثر الانجليزي يصف الأستاذ السير جيمس فريزر العادة الغريبة التي كانت متبعة في تولية القسس الحاكين بغاب ديانا القريب من موقع مدينة لارتشيا الحالية بإيطاليا: «فمن يوم إلى يوم، ومن عام إلى عام، في الحر وفي البرد، وفي الصحو وفي المطر، يخرج القسيس من المعبد حذرا يترقب ويجوب الغابة، والسيف مشهور في يده، وإن أغنى إغفاءة فقد يكون ثمنها حياته ويتولى من قله الحكم مكانه». ذلك نوع من النجاح بعد به عنا الزمن، وأنكرته المدينة حتى في عهدها القديم (فإني أذكر وأنا أكتب الآن أن الامبراطور كرا كان هو الذي أبطل قانون الغابة الذي سلف وصفه) لما تنطوى عليه فكرته من تغليب محض القوة أو الخديعة على كل اعتبار آخر وإباحة التخلص من وجود المنافس كلية بقتله، وقد يكون المقتول أنفع لقومه من القاتل، فضلا عن أن لا حياة لمجتمع ما إلا بالتواضع على حد أدنى من الأمن على النفس والمال وما يتصل بهاتين الغايتين من أفكار أدبية ونظم قانونية

وما زالت معايير النجاح تتغير تبعاً لاختلاف الجماعات والعصور حتى أتى هذا القرن وأوضح صفاته وصول التنافس الاقتصادي فيه إلى أشده سواء بين الأفراد أو الأمم، وفي هذه الحالة ما فيها من خطر على المدينة يكاد يرجع بها إلى عهد التناحر الأول، وما استمرار الحرب الهجومية إلى هذا الوقت إلا نذير بما تستهدف له العلاقات الدولية من عودة الإنسان فيها إلى حكم غرائزه البحتة

يترك هذا الجانب الدولي من الموضوع، فليس هو المقصود يبحثنا الآن فضلا عن مساسه بمسائل هي أدق بكثير مما يتناوله البحث في تنافس الأفراد

والآن فامقياس النجاح في عصر الاقتصاد؟ إن أسهل جواب على ذلك القول بأنه هو النجاح المشتق من روح العصر. أي النجاح في الماديات، وأسهل جواب ليس هو دائماً أفضل الخطاب، بل إن الأمر ليجتاج لنظر أدق وتفكير كثير، فقد كان التنافس في الماضي نضالا بين اثنين أو أكثر يفوز فيه أحسنهم مواهب أو فرصا، فتحول الآن إلى جهاد للتخلص مما أحاط به هذا العصر بنيه من

صعوبات نشأت عن انتشار الديمقراطية من جانب وزيادة السكان من الجانب الآخر. وأكبر أخطار الديمقراطية هو ما تحاول نشره يومياً (خصوصاً بالسينما والراديو) من فرص للسواوة المزعومة بين الناس مما يسهل انعدام شخصية الفرد في آلاف يراهم مثله. وأكبر أخطار زيادة السكان هو الفقر والعطلة، فالتحول بالأخلاق من ينابيعها الأدبية والروحية إلى غرائز الاجرام الحيوانية الكامنة هي أيضاً في الطبيعة البشرية — ولا ريب في أن الناشئ في هذا القرن يقاسى من هذه الصعوبات ما لا عهد للسابقين به، ويتعرض من أخطاره لما لم يعرفه غيره من قبله، غير أنه لا ريب كذلك في أن إطلاق مبادئ النجاح المادى من عقائدها وترك النضال القديم الذي يعترف بحدوده من الأخلاق والدين إنما هو في الواقع هروب من الجهاد الصحيح إلى عراك آخر رخيص يبيح الصعود بالهبوط والوصول لنعيم الجسم بفقدان الروح، ولضخامة الكسب بموت الضمير وسيكون اختيار الناس لهذا النوع أو ذاك من النضال تبع فهم كل منهم معنى الكرامة والحياة، ولا فائدة على أى حال من خطاب من فسدت مقاييسه أو خبت طبعه، ولكن الذى لا بد من بيانه في هذا الصدد أن النجاح برغم كل ما تقدم من وصف صعبه لا يستلزم تغييراً في كيف السعى بل في كنهه؛ وبعبارة أخرى هو يستلزم زيادة في الجهد لا ما يدعو إليه المستهترون بالاجتماع السليم من اطراح ما قامت عليه المدينيات من قواعد الشرف والآداب

فاذا تبين أن سبيل النجاح الآن لا يخرج عما كان في كل آن من أنه طلب التقدم بكل وسيلة شريفة. نبي أن نبحت عن أهم شروط هذا الطلب فلا نجد غير إرادة النجاح، والإرادة هي إرادة الوسائل وعقد النية على العمل بها لا الإرادة الجوفاء الشبيهة بالأحلام — وباعتبار ما تقدم القول عنه من امتياز هذا القرن بشدة التنافس الاقتصادي فيه يجب أن نضيف إلى شرط الإرادة شرطاً آخر هو القدرة على إنزال المال منزله الصحيحة من أنه وسيلة للحياة المادية، وأنه هو والحياة المادية نفسها يجب أن يتخذا وسيلة لأن يحيا المرء حياته الروحية التي هو جدير بها. فاذا عمل عامل بهذه العقلية وتلك الإرادة فداوم على تهذيب نفسه مع السعى لترقية حاله وحافظ على شخصيته في كل الظروف فهذا هو الفضل وهو النجاح. (٥٥٥)

مصاير الحرب في اسبانيا

والصراع بين انكلترا وايطاليا

بقلم باحث دبلوماسي كبير

المرات السابقة عن فشل الثوار الذريع ، بل أسفرت فوق ذلك عن احراز القوات الجمهورية لسلسلة من الانتصارات الباهرة في جبهة وادي الحجارة وفي آفيلار ، وعن تمزيق الثوار وحلفائهم الايطاليين ، وردهم بعيدا عن حدود العاصمة وعن طريق مدريد - بلنسية الذي يحاولون احتلاله لقطع العاصمة عن باقي اسبانيا

وقد كان لهذا التطور الجديد في مصاير الحرب الاهلية الاسبانية أثر عميق في الموقف الدولي ، فقد كشفت الحوادث والمعارك الاخيرة عن مبلغ تدخل إيطاليا في الحرب الاسبانية وعن ضخامة الدور الذي تقوم به إلى جانب الثوار ، وبالأخص عما ارتكبته من المخالفات الصريحة لاتفاق عدم التدخل ، إذ تبين أنها أرسلت إلى اسبانيا عدة فرق عسكرية كاملة في أوائل شهر مارس ، وأعطى بعد أن عقد ميثاق عدم التدخل في لندن وتعهدت جميع الدول الموقعة عليه ومنها إيطاليا بأن تكف عن تدخلها في الحرب الاسبانية ، وأن تقطع عن الفريقين المتحاربين كل معاونة عسكرية ، وتبين أن معظم القوى التي قامت بالهجوم الأخير على مدريد كانت مؤلفة من الايطاليين وأنه يوجد الآن في اسبانيا إلى جانب الثوار نحو خمسين ألف جندي إيطالي ؛ وقد كشفت السياسة الإيطالية عن مبلغ تمسكها بهذا التدخل وتصميمها على معاونة الثوار على تحقيق الغرض الذي ترمي إليه ، وهو إقامة حكومة عسكرية فاشستية في اسبانيا تكون خاضعة للنفوذ الإيطالي ؛ وقد قررت إيطاليا في لجنة عدم التدخل ، على يد سفيرها في لندن ، أنها ترفض سحب جنودها في اسبانيا وصرحت صحافتها الشيبة بالرسمة ، بأن الجنود الإيطالية لن تغادر اسبانيا حتى يتم الظفر النهائي لزعم الثورة الجنرال فرانكو ، وأن إيطاليا لن تسمح بأي حال أن تقوم في اسبانيا حكومة بلشفية ، وهو الوصف الذي تطلقه على حكومة اسبانيا الشعبية الجمهورية . ولنلاحظ أن إيطاليا تقف هذا الموقف العنيف غداة هزيمة جنودها أمام مدريد ، وهي الهزيمة الذريعة التي كدرت على موسوليني صفو رحلته الرنانة في طرابلس ، وحملته على العودة إلى رومه قبل أن يتم برنابجه

مضت إلى اليوم تسعة أشهر منذ نشبت الحرب الأهلية الاسبانية في أواخر يولييه الماضي ، وما زالت على اضطرامها ، ونستطيع بعد الذي شهدناه من تطور الحوادث خلال هذه الفترة أن نقول إن هذه المعركة الطاحنة التي تخضب أرض اسبانيا بالدماء وتبسط في جنباتها أعلام الدمار والويل ، لم تسفر حتى اليوم عن نتيجة حاسمة ؛ بل لا نبالغ إذا قلنا إنها ما زالت حيثما بدأت من حيث أوضاعها الداخلية ؛ فالجبهة النائرة ما زالت تجاهد جهاد اليأس لتتزع ما تستطيع انتزاعه من المدن والأراضي ؛ وجبهة الحكومة أو الجبهة الجمهورية ما زالت تصمد في معظم الميادين وترد هجمات الثائرين ؛ وقد أحرزت في الأسابيع الأخيرة نجاحا يذكر في المعارك التي دارت حول مدريد ، ولا سيما في وادي الحجارة (جوادى لاجارا) كما أحرزت بعض النجاح في الشمال حول أوفيدو ، وفي الجنوب في بسائط قرطبة وغرناطة . وقد لاح مدى حين حينما استولى الثوار على مالقة في أوائل شهر فبراير بمؤازرة الفرق الإيطالية في البر ، والمدركات الإيطالية والألمانية في البحر ، ان الجبهة النائرة تسير إلى نصر سريع محقق ، وان الجبهة الجمهورية قد اصحمت على وشك الانهيار والتحطم ؛ وكان سقوط مالقة في الواقع تعريضا للثوار عما لحقهم أمام مدريد من فشل مستمر ؛ وكان المظنون أن الثوار سيتابعون زحفهم إلى المرة ثم إلى بلنسية حيث تقوم الحكومة الجمهورية ؛ ولكن سقوط مالقة أذكى في الجمهورية شعور الخطر ، وأذكى فيها روح النضال ، فضاغت جهودها ، واستطاعت أن ترد خطر الثوار في الجنوب ؛ واغتر الثوار بظفرهم في مالقة فدبروا مع حلفائهم الايطاليين هجومهم الجديد على مدريد ، واضطربت حول العاصمة الاسبانية سلسلة جديدة من المعارك الطاحنة ، ولكنها أسفرت في تلك المرة كما أسفرت في كل

وهذا الموقف الذي تقفه إيطاليا من المسألة الاسبانية يثير في لندن وباريس مخاوف كثيرة؛ وقد كان موقف المانيا ازام هذه المسألة من قبل يثير مثل هذه المخاوف، ولكن ألمانيا تقف في معاوتها للثوار عند الحد الذي بلغته قبل عقد اتفاق عدم التدخل. ولا تريد الآن على ما يظهر أن تتوسع في تدخلها بعد أن رأت فشل سياستها في المسألة الاسبانية؛ أما إيطاليا فانها تثير بموقفها صعاباً جمّة في سبيل تطبيق سياسة عدم التدخل التي ترى لندن وباريس أنها خير وسيلة لحصر أخطار الحرب الاسبانية وصون السلام الأوربي من شررها المتطايّر. وهنا تبدو الصبغة الدولية للحرب الأهلية الاسبانية وهي الصبغة التي نوهنا بمخاطرها وأهميتها منذ نشبت الثورة في اسبانيا. فالعلاق الإيطالية الانكليزية، والنضال بين انكلترا وإيطاليا في البحر الأبيض المتوسط، تلعب أكبر دور في تطور المسألة الاسبانية، وفي سير الحوادث الدولية بوجه عام. والمسألة الاسبانية ليست إلا واحدة من مسائل عديدة يثيرها النضال بين الدولتين في هذا البحر؛ وإيطاليا لم تنس موقف انكلترا في المسألة الحبشية، ولم تنزل عن شيء من أحقادها ومشاريعها رغم عقد اتفاق «الجنّتليمان» بينها وبين انكلترا على احترام الحالة الراهنة في البحر الأبيض المتوسط. وإذا كانت انكلترا تضيّ اليوم في تنفيذ برنامجها الدفاعي الهائل فلاّنها اعتبرت بحوادث الحرب الحبشية، وشعرت بالخطر الذي يهدد سيادتها الامبراطورية من جراء تفوق التسليح الإيطالي في البحر الأبيض المتوسط؛ وهي تستطيع اليوم بعد أن قطعت شوطاً كبيراً في برنامجها الدفاعي أن تقف في وجه السياسة الفاشستية وأن تناوئ اطماعها الخطرة. ولم تنس بعد تلك المعركة الصحفية المرة التي اضطرت بين الصحافتين البريطانية والإيطالية، من جراء أقوال «الدوتشي»، ومزاعمه المفرقة في طرابلس حول حماية الاسلام والعرب، وما أثارته تلك المزاعم من سخرية لاذعة في العالم الاسلامي.

ونلاحظ أن هذا النضال بين السياستين البريطانية والفاشستية كما أنه يحدث أثره في المسألة الاسبانية أو غرب البحر الأبيض المتوسط، فانه يحدث أثره العميق أيضاً في شرق هذا البحر،

في الأشهر الأخيرة نشطت السياسة الإيطالية في البلقان وفي أوروبا الوسطى، وأحرزت أخيراً نجاحاً يذكّر بعقد الميثاق اليوجوسلافي الإيطالي، ومن المعروف أن العلائق بين إيطاليا ومنافستها القوية في بحر الادرياتيک لم تكن على ما يرام، فعقد هذا الميثاق يحسم كثيراً من أسباب النزاع بينهما، ويضمن لإيطاليا حيدة يوجوسلافيا اذا وقع الصدام بينها وبين دولة أخرى، كما أنه يضمن ليوجوسلافيا مثل هذه الحيدة؛ والظاهر أن السياسة الإيطالية تسعى إلى عقد مثل هذا الميثاق مع المجر حيث تتمتع بنفوذ واضح، ومع تركيا السكّلية أيضاً. فإذا تم عقد هذه المواثيق، فإن إيطاليا الفاشستية تسوى بذلك علائقها في شرق البحر الأبيض المتوسط، وتأمّن غائلة الاعتداء من هذه الناحية، وتستطيع أن تفرغ لمقاومة السياسة البريطانية في أواسط البحر الأبيض المتوسط وفي غربه أعني في أسبانيا ولقد نوهنا من قبل غير مرة بمخاطرة هذا النضال بين إيطاليا وبريطانيا العظمى وشرحنا عناصره الظاهرة والخفية، وليس من ريب في أن هذا النضال يستغرق اليوم كثيراً من نشاط السياستين البريطانية والإيطالية؛ وإذا كانت السياسة البريطانية تبدو كمعادتها كثيراً من الأناة وضبط النفس، فانها مع ذلك لا تخفي اهتمامها بحركات السياسة الإيطالية ومقارعتها. ولقد دلت إيطاليا الفاشستية في العامين الأخيرين على ما تجيش به من الاطماع المتوثبة والنزعات الاعتدائية ولا سيما ضد الامبراطورية البريطانية؛ فغزو الحبشة والاستيلاء عليها بالعنف، يهدد مركز بريطانيا في السودان وفي شرق افريقية؛ وتحصين جزيرة باتلاريا الواقعة بين طرابلس وصقلية يهدد مركز بريطانيا في مالطة، ومن ثم يهدد مواصلاتها الامبراطورية في البحر الأبيض؛ ومد الطريق البري من طرابلس إلى الحدود المصرية يخفي وراءه غايات عسكرية أكثر مما يقصد إلى غايات سلبية وتجارية؛ ونشاط السياسة الإيطالية في المسألة الاسبانية هو مظهر آخر لتلك النزعة التي ترمي إلى تهديد انكلترا في جميع النقاط الحساسة من نفوذها الاستعماري أو سيادتها البحرية ولكن السياسة البريطانية مع ما تبدي من ضبط النفس

النفس وخلودها عند ابن سينا

للدكتور ابراهيم بيومي مذكور

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

- ٥ -

ليس تائر ابن سينا بافلاطون من الأمور التي تتطلب اثباتاً جديداً ، فقد فرغنا منه من قديم وأضحى واضحاً وضوحاً لا يقبل الشك . وإذا كان شيخ الأكاديمية قد استطاع أن ينفذ إلى فلاسفة الاسلام جميعاً بالرغم من تعصبهم لأرسطو فان أثره في الأستاذ الرئيس أعمق ، وملامته لتفكيره أتم وأكمل . وقد يتناهى سبق كيف قال ابن سينا بجوهرية النفس على نحو ما ذهب إليه أفلاطون . ونريد اليوم أن نوضح موقفه إزاء روحيتها ، فنهى بذلك فرصة أخرى لاظهار ما اشتملت عليه فلسفته من نزعات وآراء أفلاطونية ابن سينا روحى في طبيعته ، فالتغيرات الكونية ترجع في رأيه إلى قوى خفية تحدثها وتشرف عليها ؛ روحى في طبعه ، إذ يعتبر النفس الانسانية مهمة على كل الأجهزة والعصارات الجسمية ؛ روحى في فلكه ، فانه يذهب إلى أن الأفلاك والكواكب إنما تستمد قوتها وحركتها من نفوس خاصة موكلة بها ؛ روحى في ميتافيزيقاه ، ولا أدل على هذا من أن عالم ما وراء الطبيعة في نظره حافل بقول قديمة أزلية كلها تفكير ونظر وتأمل ؛ روحى أخيراً في أبحاثه السيكلوجية ، بدليل أن النفس عنده هي كل شيء والجسم والحواس مجرد آلة لها وأداة . ونستطيع أن نقول إن فلسفته كلها تلخص في مذهب روحاني تتجاذب أطرافه وتتأجج نواحيه . وفيلسوف هذه نزعة لا يدخر وسعاً في البرهنة على روحية النفس ولا يميل حديثاً كهذا ، بل على العكس يعنى به ويذهب فيه مذاهب شتى ، فيلجأ تارة إلى بعض الأفكار الرياضية مستعيناً بما فيه من لباقة ومقدرة جدلية ليحمل القارىء على التسليم بهذه الروحانية . ويركن تارة أخرى إلى معلوماته الطبية

لا تخفى أنها مصممة على سحق جميع هذه المحاولات الفاشستية والاحتفاظ بسيادتها في البحر الأبيض المتوسط ، وتدعيم نفوذها وسيادتها حيثما يقتضى الدفاع عن امبراطوريتها الاستعمارية الشاسعة . والمسألة الاسبانية هي أول مظهر من مظاهر النضال بين السياستين ؛ فكأن رومة تحاول أن تدفع تدخلها في الحرب الأهلية الاسبانية إلى النهاية أو حتى يظفر الجنرال فرانكو وتقوم في اسبانيا حكومة فاشستية تخضع لنفوذ ايطاليا ، فكذلك السياسة البريطانية تعمل على احباط هذه المحاولة بتدعيم سياسة عدم التدخل ، وعزل ايطاليا عن باقي الدول ، وإظهارها بمظهر المعتدى المهدد لسلام القارة ؛ وانكلترا تفوز في هذه السياسة بتأييد فرنسا التي تخشى عواقب التدخل الفاشستى في اسبانيا مثل ما تخشاه انكلترا ، وتأييد روسيا السوفيتية التي تناصر الكتلة الديموقراطية ، والتي تعاون اسبانيا الجمهورية على مقاومة الثورة الفاشستية منذ نشوبها . وما يلاحظ أيضاً أن المانيا تبدي الآن فتوراً ظاهراً في تأييد وجهة النظر الايطالية مما يدل على أنها قد ملت التدخل في مغامرة لا تؤمن عواقبها ؛ هذا إلى أن حوادث الحرب الاسبانية ذاتها تدل على أن الجبهة الثورية الفاشستية قد سرى إليها الضعف والوهن ، فانتصارات الجمهوريين الأخيرة حول مدريد وفشل الثوار في جميع هجماتهم الأخيرة وما أذيع من وقوع التمرد في بعض الوحدات الثورية في المغرب الانبائى ، كل ذلك يؤذن بأن مصائر الحرب الاهلية تتطور في صالح الجمهورية الاسبانية . ولندكر أخيراً أن اتفاق عدم التدخل الذى وقفت الدول إلى عقده وتنظيمه ، سينفذ بطريقة فعلية في أيام قلائل بحيث يغدو من المتعذر على أحد الفريقين المتحاربين أن يتلقى المدد من أى ناحية . وفي اعتقادنا أن الثورة الاسبانية التي قامت منذ الساعة الأولى بتحريض الفاشستية ومعانتها المادية ستتهار عندئذ بسرعة ، ونحسم هذه المعركة الطاحنة بفوز الديموقراطية الاسبانية ، وبذلك يقضى على تلك العوامل الخطرة التي تلوح في الأفق منذ أشهر مهددة سلام أوروبا ، والتي كان لشهوات الفاشستية وذرائعها المضطربة أكبر فضل في بعثها وتغذيتها

(٥٥٥)

وملاحظاته السيكلوجية فيتخذ منها أدلة أخرى لا تقل عن السابق إقناعاً

فيقرر أولاً أن النفس جوهر يدرك المعقولات والمعاني الكلية ويشتمل عليها؛ وجوهر هذا شأنه لا يمكن أن يكون جسماً أو قائماً بجسم، ذلك لأننا إن قلنا بجسميته لزم أن تحل المعقولات في مكان، وهذا محال. فإنها إن شغلت حيزاً فاما أن يكون قابلاً للقسمة أولاً، وما لا يقبل للقسمة هو تلك النقط الهندسية التي يتكون منها الخط والتي لا توجد منعزلة مطلقاً؛ فلا يمكن أن تكون محلاً لشيء ما. وعلى هذا لم يبق إلا أن تكون المعقولات حالة في مكان قابل للقسمة. وفي هذا الغرض أيضاً صعوبات كثيرة لا سبيل إلى تذليلها ومتناقضات لا نستطيع رفعها، وأهمها أن الكلي يصبح قابلاً للقسمة تبعاً للحيز الذي يشغله فيصير شكلاً هندسياً أو كمية عددية بدل أن يكون فكرة عقلية. وإذا قلنا بقسمته فهل هو مكون من أجزاء مكررة متشابهة أو غير متشابهة؟ إن أخذنا بالأول قادنا إلى نتيجة واضحة البطلان وهي أن يتكون الكل المتنوع المميز من جزء واحد مكرر؛ وإن ذهبنا إلى الثاني كان معناه أن الكلي قابل للقسمة إلى ما لا نهاية، شأنه في هذا شأن الجسم الذي حل فيه. ونحن نعلم أن الكليات وإن قسمت إلى أجناس وأنواع ينبغي أن تقف عند حد في هذا التقسيم، فهي في ذاتها قابلة للقسمة إلى نهايته، وتبعاً للحيز الذي تشغله يمكن تقسيمها عقلاً إلى ما لا نهاية، وهذا تناقض صريح. على أن هناك معقولات بسيطة لا تقبل القسمة بحال فكيف تصورنا شاعلة لحيز قابل للقسمة؟ وإذا بطل كل هذا فالجوهر الذي تحل فيه المعقولات روحاني غير موصوف بصفات الأجسام، وهو ما نسميه النفس^(١). وواضح أن هذه النفس هي التي تجرد الكليات عن الكم والالين والوضع وتستخلصها من الجزئيات فلا يمكن أن تضعها في حيز جديد؛ ولن يصير الكلي كلياً ولا المعقول معقولاً بالفعل إلا إذا انتزع من المكان وفهم في ذاته بعيداً عن عوارض المادة^(٢)

هذا هو أعنف برهان يستدل به ابن سينا على روحية النفس؛ ويظهر أنه كان معتداً به كل الاعتداد، فإنه ساقه في كل كتبه السيكلوجية التي وصلت إلينا في أشكال وألوان مختلفة بعضها أغمض وأعقد من بعض؛ وربما كان أوضحها نسياً ما جاء في كتاب النجاة. وليس القول بأن المعقولات لا تشغل حيزاً فكرة مبتكرة اهتدى إليها ابن سينا وحده، فإننا نجد لدى الأغريق من قديم؛ وأرسطو بوجه خاص يفصل الكلام في وجود الكليات مبنياً أنها موجودة في الجزئيات بالقوة وفي الذهن بالفعل. والوجود الذهني هو الوجود الحقيقي؛ وإذا كان بينه وبين الوجود الخارجي من فارق فهو أنه مجرد عن الماديات^(٣). وإنا لنرى بين المسلمين كذلك الفارابي يحاول من قبل البرهنة على روحية النفس محاولة نظن أنها التي ألهمت ابن سينا برهانه الذي نحن بصدده، فهو يلاحظ أن المعقولات تتنافى مع الحيز بطبيعتها، وما دامت النفس تدرجها وتشتمل عليها فهي جوهر مفارق للمادة^(٤). بيد أن الجديد لدى ابن سينا هو ذلك الجدل المحكم والالزام المبني على أقيسة اقترائية وقسمة ثنائية لا يلبث المرء أن يسلم أمامها بالمطلوب رضى أم لم يرض. وقد لا نستطيع نحن الآن كثيراً هذا الطراز من الإثبات، فإنه أشبه بالمنافضة اللفظية منه بالبحث العلمي، إلا أنه كان من مميزات القرون الوسطى عامة، ولا بد من سينا بوجه خاص فيه قدرة فائقة. ومع هذا فلن نعدم المائلة في إنكار بعض مقدماته أو الطعن في بعض قضاياه، ولكننا لا نجب أن نسترسل في أمر نعتقد أنه قليل الجدوى. ومهما يكن من شأن البرهان السابق فإنه يعتمد على مبدأ لا يزال علم النفس الحديث يقره. فإن المحدثين يفرقون بين الظاهرة الجسمية والنفسية بأن الأولى هي التي تشغل حيزاً في حين أن الثانية مجردة عن المكان، وكل ما تقاس به هو الزمان الذي تحدث فيه. ولئن فات ابن سينا أن ينمي معلوماتنا السيكلوجية ببرهانه هذا فإنه سيعرض علينا ذلك يبراهينه التالية

(١) ابن سينا، (الشفاء)، ج ١، ص ٢٤٨ - ٢٤٩؛ (النجاة)،

٢٨٥ - ٢٨٩؛ (الاشارات)، ج ١، ص ١٣٠ - ١٣٢؛ رسالة في القوى النفسانية، ٦٧ - ٦٩.

(٢) (الشفاء)، ج ١، ص ٢٤٩ - ٢٥٠؛ (النجاة)، ج ١، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٣) الفارابي، البرهنة المرضية، ج ١، ص ٦٤ - ٦٦؛ المفاوشت، ج ١، ص ٧ - ٨.

(٤) Aristote; de l'âme, III, 4.

أعقد منها . حقا أنه قد يبدو متعباً أحيانا ولكن هذا راجع إلى ما يتصل به من ظروف عضوية ، فانه يستعين بالخيلة كثيرا وهي مرتبطة بالجسم ارتباطا وثيقاً (١).

وأخيراً كل أعضاء الجسم تضعف تبعاً لتقدم السن ، ويبدأ هذا الضعف عادة بعد سن الأربعين . لكن القوة الفعلية تخالف هذا تمام المخالفة ، فهي لا تكتمل إلا حين يجاوز الانسان هذه السن . يقول ابن سينا : « لاشك أن الجسم الحيواني والآلات الحيوانية إذا استوفين سن النمو وسن الوقوف أخذن في الذبول والتقص وضعف القوة وكلال المنة ، وذلك عند الاثابة على الأربعين سنة . ولو كانت القوة الناطقة العاقلة قوة جسمية آلية لكان لا يوجد أحد من الناس في هذه السنين إلا وقد أخذت قوته هذه تنقص ، ولكن الأمر في أكثر الناس على خلاف هذا ، بل العادة جرت في الأكثر أنهم يستفيدون ذكاء في القوة العاقلة وزيادة بصيرة ؛ فاذن ليس قوام القوة النطقية بالجسم والآلة ، وإذن هي هي جوهر قائم بذاته (٢) . وأما ما يبدو من نسيان أو ضعف في التفكير أو خطأ في الأحكام أثناء الشيخوخة فليس راجعاً إلى نقص أو اضطراب في القوة العاقلة ، وإنما مصدره مؤثرات جسمية وعضوية . ويان ذلك أن النفس تؤدي مهمتين متباينتين ومتعارضتين تقريباً : فهي تسوس البدن وتدير أمره ، كما تقوم بالتفكير والتعقل . وكثيراً ما عز عليها الجمع بين هذين الأمرين ؛ فيحول الحس دونها والاسترسال في النظر والتأمل ، كما يصرفها البحث العميق ولو مدة معينة عن حاجات الطعام والشراب ، فأنظنه من ضعف التفكير أو تعطل العقل لدى الشيخ أو المريض منشؤه أن النفس قد شغلت بمهمتها الجسمية ، بدليل أنها تسترد كل قوتها العاقلة إذا ما زال المرض (٣) .

هذا هو مجمل البراهين التي يستدل بها ابن سينا على روحانية النفس ، وفيها من غير شك ملاحظات سيكولوجية

كم كنا نود أن نجد السيل إلى ملاحظة النفس في ذاتها لنقف على طبيعتها وميزاتها . فاما ولا حيلة لنا إلى ذلك فلنلجأ إلى آثارها ووظائفها فإن فيها خير معين على فهم كنهها . وكثيراً ما قام الأثر دليلاً على الأثر وأعانت الوظيفة على توضيح مصدرها . ومن أهم وظائف النفس وألصقها بها الإدراك ؛ وأنا لنلحظ فيه ظاهرة غريبة هي أن النفس تدرك ذاتها وتدرك أنها تدرك ، وفي هذا دليل قاطع على أن إدراكها مباشر وبدون واسطة . ذلك لأنها لو كانت تدرك بآلة جسمية لا نعدم كل هذا وما استطاعت أن تدرك نفسها ولا أن تكون شاعرة بإدراكها ، بل ولا أن تدرك الآلة التي تستخدمها . ويكنى أن تقارن هذا الإدراك العقلي بالأدراكات الحسية أو المتصلة بالجسم لتبين الفرق بينها . فبينما النفس تدرك ذاتها وتدرك إدراكها لا تستطيع حاسة ما من حواسنا أن تحس نفسها ولا احساسها ولا العضو الذي يوصل اليها هذا الاحساس ، اللهم إلا إن عكس اليها بمرآة ونحوها . وكذلك الخيالة لا تتخيل ذاتها ولا فعلها ولا آلتها ، وإنما تتخيل أمراً خارجاً عن كل ذلك . واذن تكون النفس الناطقة من طبيعة غير طبيعة هذه القوى الجسمية (١) .

وفوق ذلك فهذه القوى تتأثر بما تقوم به من مجهود . فإن عظم مجهودها أو استخدمت زمناً طويلاً بدا عليها التعب والاعياء وعز عليها أن تقوم بوظائفها في دقة . فالقراءة الطويلة تضعف العينين ، والضوء الشديد قد يعشيهما فلا تكادان تبصران ، والرعد القاصف قد يصم الأذنين . وليس أثر هذه الاحساسات الشاقة بمقصود على وقتها ، فقد يبقى بعدها زمناً ، فن أبصر ضوءاً عظيماً لا يبصر معه ولا عقبه ضوءاً ضعيفاً ، ومن سمع صوتاً قوياً لا يسمع معه ولا على أثره صوتاً ضئيلاً ، ومن ذاق طعاماً شديداً الحلاوة لا يحس بعده خفيف الطعوم ، وعلى عكس هذا يزداد العقل فضجاً كلما استخدم وقام بوظيفته ، وإذا حل مسألة معقدة كان في هذا ما يعينه على حل ما هو

(١) (الشفاء) ، ج ١ ، ص ٢٥٠ - (النجاة) ، ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٢) ابن سينا ، رسالة القوى النفسانية ، ص ٧١ .

(٣) الشفاء ، ج ١ ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ : النجاة ، ٢٩٥ - ٢٩٧ .

(١) ابن سينا ، (الشفاء) ، ج ١ ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ : النجاة ، ص ٢٩٢ - ٢٩٤ : (الاشارات) ، ١٢٢ - ١٢٤ : (رسالة في القوى النفسانية)

٢٩٠ - ٢٩١

في الأدب المقارن

الطور الفني

في الأدبين العربي والإنجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

نمعرّف به الإنسان أنه حيوان يتذوق الفن ، فحب الفن طبع فيه ، تبدو مظاهره حالما يأمن على نفسه ويتوفر له قوته وحاجاته ، فإذا ما فرغ من الضروري من أموره انفتحت إلى الكمال ، وطلب الفن والجمال ، ومن ثم تظهر بعض الفنون بدائية بين الجماعات المتبدية ، وترتق بينها وتنوع بقدر ما تسمح به بيئتها ودرجاتها من الرقي المادي والعقلي . والرقص والموسيقى والشعر من الفنون السابقة إلى الظهور ، لقلّة ما تحتاج إليه من المواد الأولية ، أما التصوير والنثر الفني والنحت والعمارة ، فأكثر تأخرًا عنها ، لما تحتاج إليه من تقدم الصناعة والمعرفة بالكتابة والاستقرار في موطن ومهما بلغ الشعر من التقدم في عهد البداوة فما يزال محدود الجوانب قريب الأغوار متشابه الآثار ؛ فإذا كانت الحضارة والاستقرار والثقافة والتدوين ، اتسعت مواضع الشعر باتساع جوانب العمران ، وبعد غوره باستفادته من العلم ، وجاد أسلوبه باستخدامه التدوين والتروى ، واتصلت الجهود فيه وتكاثر الابتكار بتوفر الوقت للتفرغ والتفنن ، وظهر بجانب الشعر أخوه الأصغر سنًا وهو النثر ، وظهر بجانب الشعراء الكتاب ، وبظهور النثر يمتد مجال الأدب حتى يتأخم مجال العلم أو يتداخل وإياه ، وإذا بدون الأدب يطلع عليه أبناء الأمم الأخرى ويطلع أدباؤه على آداب تلك الأمم ، فيتأثر بها ويؤثر فيها ، بعد أن كان الشعر في عهد البداوة معزولاً لا يحس به سواء ولا يعلم هو بوجود غيره ، ويتفقد الأدب توارثه جيل عن جيل ، ويزداد تراثه باطراد ، بعد أن كان في عهد بداوته سريعاً إلى التلاشي في ضباب النسيان ، لا يكاد يذكر منه جيل عن أجداده إلا القليل المحرف غير المستيقن حين تحضر الأمة وتتقف ، يصح شعرها فنياً ويظهر بجانبه النثر الفني ؛ على أن هذا يستغرق زمناً ، ولا يجيء الفن إلا متأخراً عن الصناعة وعن العلم . فالإنسان يعمد دائماً إلى الضروري ، حتى إذا ما قضى منه وطره تحول إلى الفن ، أو تحولت الصناعة ذات الغرض المادي إلى فن لا غرض له خارجاً عن ذاته ، وهكذا ينشأ التصوير

جديرة بالتقدير ، فإن إدراك القوة الناطقة لنفسها وإدراكها أنها تدرك أساس موضوع السفور الذي هو من أهم مباحث علم النفس الحديث ، ويمكننا أن نسلم إلى حد ما أن القوى الذهنية أقدر على تحمل المجهود من الأجهزة الجسمية . وليس بغريب على ابن سينا وهو الطبيب المعروف أن يقوم بمثل هذه الملاحظات ولا سيما وأستاذه أرسطو قد سبقه إلى بعضها ومهد له سبيل توسعتها^(١) . ولكن الغريب هو أن تستخدم أفكار أرسطية في إثبات أمر لا يقف أمامه أرسطو موقفاً واضحاً ، فانه غير صريح صراحة أفلاطون في القول بفصل النفس عن البدن وتميزها عنه ، فكان ابن سينا يبرهنه السابقة ينتصر لأفلاطون في الوقت الذي يزعم فيه أنه يردد آراء أرسطية . وإذا ما شئنا أن نحكم على هذه البرهنة في ذاتها ، وخاصة في جزئها الأخير ، وجدنا قيمتها موقوفة على تفسير الصلة بين الجسم والروح ، وهذا ما سنحاوله في الفرص المقبلة إن شاء الله .

ابراهيم مركور

(1) Aristote , (De l'âme), III, 4.

تاريخ الأدب العربي

للاستاذ احمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائعة

ثمّة عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

ومن ذلك التراث الأدبي الزاخر يكتسب الأدب شيئاً آخر :
يكتسب على مر الأجيال لغة أدبية خاصة ، وألفاظاً خاصة للشعر
وأخرى للنثر ، قد صقلها الاستعمال الطويل ورفعها استخدام كبار
الأدباء إليها إلى مرتبة عالية ، وارتبطت بمعان سامية ، مما يجعلها
أهلاً لما ينزع إلى تصويره الأدباء من عواطف رفيعة ، فيصير
للشعر والنثر من كل ذلك لغة خاصة منسجمة على لغة العصر المستعملة
في الكلام ، الممتازة بسهولة وإسفافاً أحياناً ، وتطورها المستمر
بتطور الحضارة المادية ؛ وتظل لغة الشعر والنثر الخاصة تلك في
ازدياد كلما أضاف إليها أقطاب الأدب ألفاظاً من اختراعهم أو
اشتقاقهم أو مما يرفعونه بعقرياتهم من لغة العامة ، أو يقتطفونه
من لغات الأمم الأخرى ، وتتوارث في الأدب بجانب ذلك
تعايير خاصة جارية وبجارات وأخيلة وأمثال ، يموت بعضها تدريجاً
ويحيا بعض ، ويزداد بمرور الزمان صفلاً والسيافاً
هذا الطور المعنى لاشتراك طور نضج الأدب وبلوغه أشده ؛ فيه
يجمع بين حرارة الشعور وعمق الفكرة ، وبين طراقة الموضوع
وجودة الأسلوب ، وفيه يتخلص من أقداء المادية وشوائب
الصناعات ، وفي هذا الطور لا في طور البداوة يظهر أكبر أدبائه
وخولة شعرائه ؛ وما يزال الأدب في رقيه المطرد ، وتراثه في
ازدياده المستمر ، مادامت في الأمة فورة الحياة وصدق الشعور
وصحة النظرة ، فإذا خمدت النفوس وزاغت النظرات ، انقلب الفن
صناعة ، والحرية قيوداً ، وتمسك الأدباء بالقشور دون اللباب ،
وبالألفاظ دون الحقائق .

كان أدب الجزيرة العربية في الجاهلية وصدر من الإسلام
بدويًا : الشعر قوامه والبساطة سمته والقريب الحاضر من شؤون
الحياة مادته ، محدود المواضيع ، غير منسق الأسلوب ولا منظم
الافكار ولا ظاهراً لوحدة في القصيدة . وقد استعاض العرب
عن التدوين بالرواية : يروي أشعار كل خلل ناشئ يقوم له مقام
الديوان المخطوط ، ويقوم الشاعر من روايته مقام الأستاذ يبصره
بالشعر ووجوه القول ؛ وبطريقة الرواية هذه حفظ من شعر
العرب شيء كثير ، وبها ترعرعت الصناعة الشعرية حتى بلغت في
هذا العصر مبلغاً من التقدم يعتد به ، وصارت لها تقاليد خاصة
في الأوضاع والمعاني والألفاظ ، كنصريع البيت الأول من
القصيدة وتقديم النسب في مستهلها ، تجلي كل هذه الميزات في
الملحقات ، التي يتحدث صاحب كل معلقة منها في نفس القصيدة ،
عن أحبابه وشرابه ، وحريره وأسفاره ، وحكمته وآدابه وقيلته
وعزها وهلم جرا

وبازدياد حظ العرب من الرفاهة والثقافة والتهدب ، ازداد

والنحت والعمارة والنثر جميعاً ، تكون في أول أمرها صناعات
تخدم أغراضاً مادية وتسد حاجات الإنسان ، من اتخاذ المسكن
وزيئته وتدوين المهم من الأحكام والمواظظ والأخبار ثم العلوم ،
فاذا ما اطرد سلم الرقي تخلص الفن من تلك الأغراض الخارجية
وصار غرضاً في نفسه ومتعة في ذاته ، وتعبيراً عن الشعور خالصاً ،
وعبادة للجمال منزهة .

إذا ما دخل الأدب هذا الطور الفني ، صارت الصنعة الفنية
فيه أظهر والتجويد أوضح ، وليس يخلو الشعر حتى في بداوته من
صنعة ومعالجة وتجويد ، وبغير هذه لا يتصور له وجود ولا لسلكه
انتظام ؛ يد أن الأدب في الطور الفني يصبح أكثر بصراً بتجويد
اللفظ وتنسيق الأسلوب وتجميل المعنى ، لما يمتاز به دون شاعر
البداوة من ترفه المعيشة ورقة الذوق وسعة القراءة ، والاطلاع
على الآثار الأدبية والقواعد والآراء ، فكلما أعمق الأدب في طوره
هذا زاد الأدباء لالفاظهم تخيراً وتسهيلاً ، ولا ساليهم تسهياً
وتذليلاً ، وللمعانيهم استقصاء وتوضيحاً

وتزداد موضوعات الأدب انشاعاً وبعداً عن أسباب الحياة
الشخصية الحاضرة ، وتحليلاً في عنان الفكر وأجواز الخيال وآفاق
المحاسن والمستقبل ؛ فعلى حين يكون أكثر ما ينظم من شعر البداوة
نتيجة حادث طارئ أو خاطر عابر ، يتوفر الأدب في الطور الفني
على تقصى غايات التفكير ، إرضاء لزعمة التأمل والتفكير في ذاتها ،
وعلى توخي مناحي الفن حباً للفن وحده ، ويسمى الأدب ويصبح
ولاً له إلا استقصاء حقائق الحس والمشاهدة وتصويرها
في أدبه ، وتكثر في الشعر والنثر آثار التأمل الطويل والوصف الفني
ولذا ما تكاثرت الآثار المتجمعة بالتدوين جيلاً بعد جيل ،
وزخر التراث الأدبي بما تجود به فرائح الأدباء من فيض ، إذا
انقضت سحائب منه أعقبت بسحائب كما يقول الطائي ، وكثر
نظر الأدباء فيها واستظهارهم لها واحتذاؤهم إياها ، لم يعدوا أن
ينتهوا إلى شواهد فيها تتكرر ، وحقائق تتأثر ، وجزئيات تدرج
تحت كليات ، فاستخلصوا من كل ذلك قواعد يجعلونها نصب أعينهم
في الإنشاء ، ثم يحتفى بعضهم بجمعها وتبويبها والاستكثار من
أمثلتها ، فتكون من ذلك علوم المعاني والبيان والبديع ، وكتب
النقد والموازنة والتحليل ، وبرغم أن الفن سليقة والأدب ملكة
لا اكتساب ، والشعر طبع لا تطيع ، فإن تلك العلوم وهانئ
الكتب المستحدثة تترك أثرها في تقويم السلائق ، وتوجيه الملكات
وتحسين البصر بالأدب وأسبابه ، وجمع أشناته ولم أطرافه ، ولا
يستأثر النثر بهذا البصر في الأدب ، بل ينظم الشعراء القصيد في
مزايا الشعر وأطواره وأحوال الشعراء

حضارة أوروبا، وخدمت فيها الفن واستتب السلام في ظل آل تيودور. ومن ذلك العصر يبدأ الطور الفني للأدب الإنجليزي وهو طور تاريخه تاريخ رقي مطرد للأدب في الأشكال والمواضيع والأفكار والأساليب، وتخلص مستمر من شوائب الصناعة وتجرد تام في عالم الفن الصحيح. والأدب الإنجليزي في هذا كله يمثل التطور الطبيعي المعقول لكل أدب: جرى الشعر إلى غاياته وتلاه النثر، وتوسعت جوانب كل منهما تدريجاً، وتعددت مجالاته وتميزت أشكاله وتبينت أغراضه

— نهأت لكلا الأدبين العربي والإنجليزي أسباب الدخول في الطور الفني. فازدهرت الحضارة وذاقت العلوم ودونت الكتب وانتشرت الرفاهية وتوفر الوقت للعمل الفني المتصل، بيد أن الأدب الإنجليزي كان أبعد شوطاً في مضمار الفن الخالص، وأكثر تجرداً من شوائب الصناعة والمادة التي تلازم الأدب أو الفنون عامة في بدايتها، إذ أحاطت بالأدب العربي ظروف حالت بينه وبين التخلص من جميع هاتيك الشوائب، فجاء الأدب الإنجليزي أكثر فنية في الموضوع وفي الأسلوب

— ففي الموضوع احتوى الأدب الإنجليزي من تصوير الطبيعة وسير الأبطال وخرافات الماضين وأوصاف الرحلات وآثار الفنون الأخرى كالنصوير، ما يفيض جمالاً وتنم منه نسمات الفن الخالص والفكر البعيد والانسانية الشاملة، وكل هاتيك مواضع لم يولها الأدب العربي مكانة أولى، وفي الأسلوب توفر الأدباء الإنجليزي على استخدام اللفظ قدر المستطاع لإدغام المعنى وتصوير المنظر، مستعينين بجرس اللفظ وتنم الوزن في النظم، في حين اهتم أدباء العربية للفظ في ذاته لا على كونه مجرد وسيلة للمعنى، وظهرت الوحدة الفنية أو الفكرة الجامعة في القصيدة وفي المقالة وغيرهما من أشكال الأدب في الإنجليزية، على حين ظلت القصيدة في العربية وإن أصبحت أكثر تقسية وأجود ترتيباً مما كانت عليه من قبل، عديمة الوحدة مختلطة الأجزاء، نثب من قريب إلى بعيد ومن نسيب إلى مديح، ومن مديح للغير إلى نثر بالنفس، ومن نثر إلى شكوى

— ولم يتخلص الأدب العربي من شبهات الصناعة والسر المادي قط: إذ ظل أكثر الشعراء والكتاب يخدمون الأمراء ويتوخون مواقع رضاهم. وليس يخرج الأدب من حيز الصنعة إلى عالم الفن الحر مادام ذا غرض خارج نفسه. وذلك ما لم ينكره أدباء العربية أنفسهم، فظلوا يسمون الأدب صنعة أو حرفة أو آلة، وكان النقاد يوازنون بينها وبين صناعة المغنين، ويقول ابن

الشعر تهذيب لفظ واتساق أسلوب، كما يتمثل في شعر ابن أبي ربيعة وجمل؛ وظهر النثر يستخدم أولاً في تدوين العلوم ورسائل الأمراء وإجراءات الحكومة، ثم مازال حتى استحال على أيدي ابن المقفع والمجاذب والبديع، فنا يتطلب الجمال اللفظي والمعنوي ويتوخى نواحي الفن ومذاهب التفكير بعيدة عن النفع المادي والغرض الحاضر. وبلغ الشعر الغاية من الصناعة الفنية والحلاوة اللفظية، والتقسيم الموضوعي، والتقصي في المعاني، والفن في الوصف. على أيدي أبي نواس وأبي تمام وابن المعتز وابن الرومي وغيرهم؛ وهؤلاء وأضرابهم هم لأشك خولة شعراء العربية، وإن ظل كثير من الأدباء لنزعتهم من المحافظة يقدمون أمراً القيس وأنحاه من الجاهليين. وظهرت كتب النقد وعلوم البلاغة، ونظم الشعراء القصيد في إطراء فئهم، ودبحوا أشعارهم بالتشبيهات والأمثال يحتفون بطلبها ويكاثرون بعرضها، كقول الطائي:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيها جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود
وقد سئل بشار فيما قيل: بم قتت أهل عصرك في حسن معاني
الشعر وتهذيب ألفاظه؟ فأجاب: بأني لم أقبل كل ما توردته على
قريحتي، وبنجانيني به طبعي، ونظرت إلى مغارس القطن، ومعادن
الحقائق، ولطائف التشبيهات، فسرت إليها بفكر جيد وغيرة
قوية، فأحكمت سرها واتقيت حرها، وكشفت عن حقائقها
واحتزرت عن متكلفها. فهذا قول أديب صناع يروض المعاني
والألفاظ، ويعرف خطر الترويض وإعمال الفكر، ولا يرسل القول
على عواهنه، ولا يطمئن إلى الارتجال الذي كان شيعه الجاهليين.
ومن أمثلة التدقيق في انتقاء الألفاظ ونقدها ومراعاة تناسب
حروفها ومخارجها أيضاً، أن ابن المعتز عاب على أبي تمام تكرار
كلمة «أمدحه» مع الجمع بين الحاء والهاء، وهما معاً من حروف
الحلق، وذلك في قوله:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى وإذا ملته ملته وحدى
هكذا يجرى تاريخ أدب كل أمة: يبدأ بطور أولى، الأدب
فيه ظاهر البداوة، يليه طور فني تابع لتحضر الأمة وأخذها
بأسباب الكتابة والعلم، وقد استطال الطور الأول في العربية
وغزر ما حفظ من آثاره لظروف خاصة، وإن يكن الكثير مما
اثر من ذلك موضع الشك. أما الأدب الإنجليزي فلا يحتوي
تاريخه على آثار ذات بال تمت إلى الطور الأول المتبدى، إلا
أساطير وشذورا اتخذها الأدب فيما بعد مادة لسبحاته الفنية، وإنما
يبدأ تاريخ الأدب الإنجليزي الصحيح بعصر اليزايت الذي كانت
الأمة فيه قد تشربت ثقافة اللاتين والاعريق، واقتبست كثيراً من

الجباية في الاسلام^(١)

للأستاذ فارس بك الخوري

أستاذ على المالية والمرافعات المدنية

ورئيس المجلس النيابي السوري

استندت الجباية عند العرب على الأسس الآتية :

١ - على القواعد المستنبطة من الكتاب والسنة ؛

٢ - على ما استنه الخلفاء الراشدون ؛

٣ - على ما أخذوه عن الدول التي غلبوها على أمرها

فلم تكن أموال الدولة في أيام الرسول سوى الغنائم يخرجون خمسها للنبي وأهل بيته ويقتسمون الباقي بين المسلمين . وكانت الخزينة في عهده قائمة على ما يجتمع لديه من الصدقات والزكوات من ماشية وتقود وجيوب وعروض يتصرف بها في وجوه المصلحة العامة . ثم عند ما اتسع أمر الاسلام عمد إلى وضع الخراج . فجعل على سكان جزيرة العرب من المسلمين خراج . مقاسمة على حاصلات أرضهم من العشر إلى نصف العشر بحسب درجة الأرض من الخصب ونصيبها من الري ، فكانت أرض الجزيرة بتمامها عشرية ماعدا خير فقد صالح يهودها على نصف حاصلات أرضهم . وكان يسم الماشية العائلة بيت المال بميم خاص ويتولى ذلك بنفسه ؛ وبلغت هذه الماشية في عهده نحو أربعين ألفاً . وبقي خمس الأفياء يعطى لأهل البيت حتى تولى الخلافة عمر بن الخطاب فعين الرواتب لمستحقها من أهل البيت ومن القائمين بخدمة الخليفة من الخاشية والبطانة وأجراها عليهم شهراً بشهر ، ورد الأثمان على بيت المال لتقسم على المسلمين

وعند ما توسع الفتح الاسلامي واستولى المسلمون على بلاد الروم والفرس في العراق والشام اختلف زعماء العرب في الخطة الواجب اتباعها باستحواز الأرض و « العلوج » الذين عليها ، فاراد قوم من الصحابة وزعماء العرب أن يقتسموا

رشيق في تعليقه على حكاية شاعر مدح علويّاً ثائراً فدفعه المنصور حياً : إن ذلك الشاعر قد جنت عليه حماقة ، إذ ما للشاعر وللزج بنفسه في أمثال تلك المآزق وإنما هو طالب فضل ؟

واختفى أدباء العربية بالالفاظ احتفاء متزايداً : فنشأ السجع والطباق والجناس والتورية وما إليها في الشعر والنثر معا ، حتى بدا اللفظ منافساً للمعنى مزاحماً له على اقتناء القارئ . وفهمه ، بل صارت له في النهاية المكانة الأولى ، وتضامل المعنى بين يديه واختفى ، وأصبحت مهمة الأدباء موجهة لا إلى النوص على حقائق الوجود وبواطن الشعور . بل إلى اقتناص شوارد الكلم وبارع النكات اللفظية ، فعيسى بن هشام مثلاً يقول إنه كان يطوف البلدان وقصارى لفظة شرود أصيدها ، وكلة بليغة أستردها ، وعيسى بن هشام أيضاً يعيب على الجاحظ أنه قليل الاستعارات قريب العبارات ، متقاد لعريان الكلام يستعمله ، نفور من معنائه يهمله ، فهل سمعتم له لفظة مصنوعة ، أو كلمة غير مسموعة ؟

ولمّا قصر بالأدب العربي عن غايات الفن المطلق ، ما قيد به من اتصال بالأمراء ، وما أرق به من تقليد للقديم : أدخلت الأولى فيه التكلف والصنعة ، وأبقت فيه غرضاً خارجاً عن نفسه وصرفت الثانية همه إلى اللفظ البليغ والعبارة الطنانة ، التي تدل على بصر باللغة وتمكن من آثار خزلها المتقدمين ؛ ويتجلى الفرق بين مدى الأدب الانجليزي من الفنية الخالصة ، ومدى الأدب العربي منها ، من موازنة حياة الفن الخالص والتأمل الدائب ، والمعالجة المستمرة لاشكال الأدب ومواضيعه ، والطرق المتكررة لمذاهبه ومناحيه ، التي كان يحياها وردزورث وشلي وتينسون مثلاً ، وبين حياة البحترى والطائي والمتنبي المتصلة أوثق اتصال بالأمراء ومناذمتهم وتلقهم ، كان الأولون كأنهم كنه الفن المنقطعون إلى آلهته في محاريبه المقدسة المصونة ، وكان الآخرون يعيشون في جلبة البلاطات وضجة المحافل والمواكب

فالادب الانجليزي بعد أن توفرت له أسباب الحضارة والثقافة والتدوين والفراغ ، التي لا بد منها لبلوغ الأدب أوج رقيه ، توفرت له أيضاً ميزتا الاستقلال بنفسه عن إرادة الحكام وخدمتهم ونزعة التجديد والحرية التي لا تقلد الماضي ولا تقف عند حدوده وبهاتين الميزتين إلى تلك الأسباب تجمعت للأدب الانجليزي كل وسائل التطور الطبيعي وبلوغ آماذ الفن الخالص ؛ أما الأدب العربي فأعوزته هاتان الميزتان ، فعمد به إغوازه في مجال الفن ، وأبقى به بعض شوائب الصناعة ، ومن ثم أمكن القول بأن الأدب الانجليزي بلغ طور الفن ، أما الأدب العربي في جملة فظل أقرب إلى الصناعة الفنية ؟

نحري أبو السعود

(١) فصل من كتاب « علم المالية » يقوم بطبعه ونشره « مكتب النشر العربي بدمشق »

ترك الأرض في أيدي أصحابها وفرض الخراج عليها هو توفيق من الله فيه الخيرة لجميع المسلمين؛ ولو لم يفعل ذلك لما شجنت الثغور وقويت الجيوش على السير في الجهاد

وفي عهده وضعت القاعدة القائلة: «إما دار من دور الأعاجم ظهر عليها الامام وتركها في أيدي أهلها فهي أرض خراج؛ وإن قسمها بين الذين غنموها فهي أرض عشر. وكل أرض من أراضي الأعاجم صالح الامام أهلها عليها وجعلهم ذمة في أرض خراج، فضرب على الأرض الخراجية مالا مقطوعاً يستأده أصحابها العاملون بها في حالتي الخصب والجذب؛ وجعل هذا الخراج يختلف باختلاف خصب الأرض وأسلوب الري والقرب من المدن الحافلة بما في ذلك من العون على كثرة الاستغلال وبيع الغلة؛ وجعل العشر في الأراضي العشرية على ما يشرب من ماء المطر ونصف العشر على ما يسقى بالدلو، وجباه على ما يبقى في أيدي الناس من الغلة الأرضية كالحبوب ووضع أي رفعه عما لا يبقى كالبطيخ والخضر، كما وضعه عن المسلمين في البلاد التي فتحها وأقطعهم إياها، وقال ليس على المسلمين عشر وإنما العشر على اليهود والنصارى. وقال: يامشر العرب احمدا الله الذي وضع عنكم العشر. فهو أول من مسح الأرض ودون الدواوين ووضع أصول الجباية ورقم الداخل إلى بيت المال والخارج منه. وهو الذي رتب الجزية على الرجال من غير المسلمين وكلف غنيهم بثمانية وأربعين درهماً، ومتوسطهم بأربعة وعشرين، وفقيرهم باثني عشر في السنة، وقال: درهم في الشهر لا يعوز أحداً. وجعل المعادن لمخرجها على أن يؤخذ منه خمس المستخرج لبيت المال؛ وكذلك ما يخرج من البحر من حلية وعنبر. وهو الذي وضع أكثر القواعد المالية فلم يجرؤ من جاء بعده على مخالفتها، فبقى جانب عظيم منها نافذاً في عهد الأمويين والعباسيين واستمر بعضها حتى الزمن الحاضر.

كانت منابع بيت المال في عهد الخلفاء الراشدين منها المقرر ومنها الطاريء؛ فالمقرر هو الخراج والعشر والصدقات والجزية، والطاريء هو العشر والغنائم والافياء والاموال المستخرجة

الأرضين التي يفتحونها غنيمة بينهم ويكون لكل منهم نصيب منها مع من عليها من السكان فيبقى السكان اقناناً أي ارقاء ملحقين بالأرض يباعون معها وينقلون بانتقالها. فقال عمر: فكيف بمن يأتي بعدكم من المسلمين فيجدون الأرض قد اقتسمت بمن عليها وحيزت ارثاً عن الآباء؟ ما هذا برأى. فقال عبد الرحمن ابن عوف: فما الرأي اذن؟ ما الأرض والعلاج الا بما أفاه الله على المسلمين. قال عمر: اذا اقتسمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشام بعلوجها فماذا تسد الثغور وما يكون للذرية؟ وما زالوا به حتى جمع ندوة من المهاجرين والانصار قوامها عشرون رجلاً من أهل الخنكة والعقل واشتشارهم في الامر وقال لهم: سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا اني اظلمهم حقوقهم وانى أعوذ بالله ان اركب ظلاماً؛ لئن كنت ظلمتهم شيئاً هو لهم وأعطيته غيرهم لقد شقيت، ولكن رأيت انه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى وقد غنمنا أموالهم وأرضهم وعلوجهم فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله واخرجت الخمس فوجهته على وجهه، وأنا في توجيهه، وقد رأيت ان أحبس الأرضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج فتكون فينا للمسلمين المقاتلة والذرية ولمن يأتي بعدهم. أرايتم هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها؟ أرايتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لا بد لها من أن تشحن بالجيوش وادرار العطاء عليهم؟ فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الأرضون والعلوج؟ فقالوا جميعاً: الرأي رأيك فتعما قلت وما رأيت، ان لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال ولم تجر عليهم ما يتقوتون به رجع أهل الكفر الى مدنها. وكان عثمان وعلى وطلحة بين القائلين بقول عمر. فقال: من لي برجل له جزالة وعقل يضع الأرض مواضعها ويضع على العلوج ما يحتملون؟ فاجتمعوا له على عثمان بن حنيف وقالوا تبعته الى أم ذلك فان له بصراً وعقلاً وتجربة. فولاه مساحة أرض السواد من العراق فسح سواد الكوفة وجباه مائة مليون درهم، وفعل بالشام كما فعل بالعراق فترك أهله ذمة يؤدون الخراج الى المسلمين. قال أبو يوسف القاضي: ان الذي رآه عمر من

من العمال وعوائد المصادرة وأمثال ذلك . فالخراج هو ما كان يوضع على الأرض التي استولى عليها المسلمون وتركوها في أيدي أهلها ملكاً لهم ، فكانوا يجعلونه أحياناً خراجاً موظفاً ثابتاً كما جرى في سواد العراق ، وأحياناً خراجاً مقاسمة . وبقيت ضياع البطارقة والأمراء المهزمين ملكاً لبيت المال يقبلها العمال ويستثمرونها لحساب الخزينة العامة . والعشر هو الحصة الشائعة المضروبة على حاصلات الأرض التي أسلم أهلها عليها من أرض العرب أو العجم كالمدينة واليمن ، أو ملكها المسلمون عنوة من قوم لا تقبل منهم الجزية كعبدة الأوثان والمجوس ؛ ومثلها الأرض التي احتازها المسلمون وقسموها بين الغنائم

والصدقات هي ما يعطيه المسلمون من أموالهم المنقولة ومكاسبهم ؛ وكانت في الغالب بمعدل واحد في الأربعين أو ربع العشر ؛ وتجي على الأكثر من الماشية ، فكانوا يعينون لأهل البادية مصدقين يحبون الصدقات ويردونهم على بيت المال لتصرف في مصالح الخلافة . ولعل هذا الأساس بقي معتمداً عليه في الإسلام وتجلى في عهد الخلافة العثمانية بأموال الاغنام والسائمة التي مازالت إلى اليوم تجي على هذه النسبة نفسها توسعت منابع الجباية بعد ذلك فتناولت مطارح أخرى من ذلك المكوس (الجمارك) التي كانوا يسمونها العشور لأنها كانت تؤخذ بمعدل واحد من العشرة ؛ وأول ظهورها في الإسلام على عهد عمر بن الخطاب عند ما كتب إليه أبو موسى الأشعري عامله في العراق يستشير بما يأخذه الأجانب من تجار المسلمين الذين يدخلون بلادهم لبيع بضاعتهم ، فكتب إليه عمر أن خذ أنت منهم كما يأخذون من تجارنا ، وخذ من أهل الذمة نصف العشر ، ومن المسلمين ربع العشر بقدر الزكاة المفروضة عليهم . فانتشرت قاعدة التعشير في ثغور المسلمين وحدودهم واستمرت طول أيام دولتهم .

ليس لدينا إحصاء يعرف منه ما كان يدخل لبيت المال في عهد الراشدين من الخراج أو العشور أو الزكوات أو الاختاس أو غيرها من منابع الخزينة ، وجل مانعنا من هذه الجهة أن الدخول كانت جسيمة جداً وجميعها تنفق في المصالح العامة ولا

يخزن شيء منها . قدم أبو هريرة على عمر بمال من البحرين فقال له عمر : ما معك ؟ قال : خمسمائة ألف درهم . فدهش عمر لكثرة وقال له : وأتدري ما نقول ؟ ، قال : نعم مئة ألف خمس مرات ، فصعد المنبر وقال : أيها الناس جاءنا مال كثير ، فإن شئتم كلنا لكم كيلاً ، وإن شئتم عددنا لكم عدلاً ، وهذا مال على دهشة العرب بوفرة الأموال التي كانت ترد عليهم من فتوحاتهم ذهباً وفضة وعلى الاسراع في توزيعها بين المسلمين . وكان أبو بكر وعلى لا يقلان عن عمر في الزهد بالمال وتقسيمه بين الناس بالعدل كان العرب قبل الإسلام يتعاملون بالنقود الكسروية والرومية من الدراهم والدنانير وبقي هذا حالهم إلى عهد عمر ف ضرب الدرهم وجعل وزنه من الفضة أربعة عشر قيراطاً من قرايط المثقال العشرين ، فكانت كل عشرة دراهم من دراهمه تزن سبعة مثاقيل ؛ ثم ضرب دراهم أخرى جعل وزن الواحد منها اثني عشر قيراطاً . وكان يضربها على نقش الدراهم الكسروية ويزيد في بعضها عبارات اسلامية كعبارة التوحيد أو عبارة الحمدلة . وضرب بعده عثمان دراهم نقش عليها عبارة التكبير . وحذا الخلفاء والأمراء حذوهم ف ضربوا الدراهم والدنانير بعبارات وأوزان مختلفة . وكان أعظم الذين ضربوا النقود معاوية وعبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان ويزيد بن عبد الملك وغيرهم . وإنما كان عبد الملك بن مروان أول من ضرب الدنانير الاسلامية الصرفة بدون نقوش كسروية ، فكان وزن دينارها يتراوح من أربعة غرامات وخمس الغرام إلى أربعة غرامات وثلاثي الغرام ، فهو بذلك يقارب نصف الجنيه الانكليزي الذي وزنه أربعة غرامات وربع الغرام من الذهب . وأما الدرهم الفضي فكان وزنه أقل من ثلاثة غرامات ، وأكثر عبد الملك من ضرب هذه النقود العربية في أيامه في الشام ومصر والعراق ، وانتشر استعمالها فاستغنى العرب بها عن نقود الروم والفرس ، وصار للعرب نقود خاصة بدولتهم ثم بها استقلها المال

فارس الخوري

نقل الأديب

د. ستاذ محمد إسحاق التنايحي

وبياحة الكتاب

أهديتُ إلى الأديب الكبير الأستاذ (خليل مردم بك) مائة نقلة من (نقل الأديب) (١) فأعطاني - وهو السخي السري - هذه اللؤلؤة العمانية أو الكلمة المردمية كالروض مؤثلاً بحمرة نوره،

وبياض زهرته، وخضرة عشبه وكأنها - والسمع معقود بها -

شخص الحبيب بدا العين محبة (٢)

بل هي فوق القول البحري ووصفه «أفحز هذا، أم هو كلام روحاني؟»

قال (الخليل) - وقوله دياحة الكتاب (٣) - :
«كنت أحسب أن هدية الأستاذ (نقل) كاسمها فإذا هي سحر وخمر ونقل؛ وذلك أن عنوانها يستدرج القاري ويوهمه أنه نقل فكيف ليس غير، وهذا لعمرى أول أبواب السحر، فإذا جاز هذا الباب (أو جازت عليه تلك الحيلة) وجد نفسه في روضة فردوسية بين أقداح ونقل؛ فالتقيلة تغري بالقدح، والقدح يستدعي النقلة، وهكذا دواليك حتى تستخف نشوة الطرب وتتلاعب بنفسه ولبه :

سقوني وقالوا : لا تغنّ، ولو سقوا

جبال حنين ما سقوني لغت
في البيت شعري كيف يستجيز من حرّم الصها على نفسه

حق الطبع والنشر والنقل محفوظ

(١) النقل ما ينقل (أو ينقل) به على الشراب وهو بغم النون (أو نحتها) وتكوين القاف كما في اللسان والاساس، ويفتح النون والقاف كما في الجهرة . وضم النون وتكوين القاف «هو الذي اقتصر عليه الجوهري واشتهر على السنة العامة» كما في التاج

(٢) البحري

(٣) دياحة الكتاب : خطبه ، فائحه ، مقدمته

أن يغوى الناس بالخر، ويفتنهم بالسحر ؟

١ - هذا بلغ للناس

سئل علي بن عيسى الرماني فقيل له : لكل كتاب ترجمة (١)
فما ترجمة كتاب الله ؟

فقال : « هذا بلاغ للناس ولينذروا به »

٢ - النيل

الاندلسي :

ما أعجب النيل ، ما أحلى شمائله !

في ضفتيه من الأشجار أدواح
من جنة الخلد فيفاض على ترع

تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا وإنما هي أرزاق وأرباح

٣ - بقة السمر في مصر

ابن المغربي :

أيا ساكني مصر ، غدا النيل جارم
فاكسبكم تلك الحلاوة في الشعر

وكان بتلك الأرض سحر وما بقي
سوى أثر يبدو على النظم والنثر

٤ - الهرمان نهرانه

الشهاب الحجازي :

يا هرتمى مصر لقد حسنتما ربها
عروس حسن قدغدت وأتما نهدها

٥ - مراتب الكموم

أبو هلال العسري في (الصناعين) :

لكل مقام مقال ، وربما غلب سوء الرأي وقلة العقل على
بعض علماء العربية فيخاطبون السوق والمملوك والأعجمي
بألفاظ أهل نجد ومعاني أهل المرأة (٢) ؛ لأن العامي إذا كلمته

(١) يريد بترجمة الكتاب العنوان الذي يفسر مقصده، وترجمة الكتاب فائحه

(٢) السراة جيل بناحية الطائف . قال ابن السكيت : الطود المشرف على

بكلام العلية سخر منك ، وزرى عليك كما روى عن بعضهم
انه قال لبعض العامة : بم كنتم تنتقلون البارحة ؟ (يعنى
على النيد)

فقال : بالخالين ...

ولو قال له : أى شىء كان نقلكم لسلم من سخريته . فيجب
أن يخاطب كل فريق بما يعرفون ، ويتجنب ما يجهلون .

٦ - فى هذا مرة وفى هذا مرة

عن أبى بكر : كنت عند النبي (صلوات الله عليه)
وعنده أعرابي ينشده الشعر . فقلت : يا رسول الله ، أشعرا
أم قرآناً ؟

فقال : فى هذا مرة ، وفى هذا مرة ...

٧ - ظرف الدهر

فى تاريخ بغداد لابن الخطيب : حدث النضر بن حديد
قال : كنا فى مجلس وفيه أبو العتاهية والعباس بن الأحنف
وبكر بن النطاح ومنصور النمرى والعتابى ، فقالوا لمنصور :
أشدنا ؟ فأنشدهم مدائح الرشيد ؛ فقال أبو العتاهية لابن الأحنف :
طرتنا بملحك (١) فأنشد أبياته :

تعلمت ألوان الرضا خوف عتبه وعلمه حبي له كيف يغضب .
ولى غير وجه قد عرفت مكانه ولكن بلا قلب إلى أين أذهب ؟
فقال أبو العتاهية : الجيوب من هذا الشعر على خطر ،
ولا سيما إن تسبح بين خلق ووتر . فقال بكر : قد حضرني
شىء فى هذا فأنشد :

أرانا معشر الشعراء قوماً بالسنا تنعمت القلوب
إذا انبعثت قرائحنا أتينا بالفاظ تشق لها الجيوب
فقال العتابي :

ولا سيما إذا ما هيجتها بنان قد تحجب وتستجيب (٢)
قال النضر : فما زلت معهم فى سرور . وبلغ اسحق

عرفة يقاد إلى صماء يقال له السراء فاوله سراء فقفى تم سراء فهم وعدوان ثم
الازد ثم المرة آخر ذلك

(١) الذى فى كتب اللغة مثل القمان والناج اطرافه كذا ، ولعارف معان
آخر فيها

(٢) سباق قد تخفف

الموصلى خبرنا فقال : اجتماع هؤلاء ظرف الدهر

٨ - أمسلم هو ؟

فى (لسان الميزان) : بما يذكر من سرعة جواب المتنبي
وقوة استحضاره أنه حضر مجلس الوزير ابن خنزابة وفيه
أبو على الأمدى الأديب المشهور فأنشد المتنبي أبيتاً جاء فيها :
إنما التهتات للأكفاء

فقال أبو على : التهتة مصدر ، والمصدر لا يجمع . فقال
المتنبي لا خير بجنبه : أمسلم هو ؟
فقال سبحان الله ! هذا أستاذ الجماعة أبو على الأمدى
قال : فإذا صلى المسلم وتشهد أليس يقول : (التحيات)
قال : فحجل أبو على وقام

٩ - لا ندعه يبرد

قيل لأعرابي : ما تسمون المرق ؟
قال : السخين
قال : فإذا برد ؟
قال : لا ندعه يبرد

١٠ - هل رأيت أمدا بهرب ولده

قال جحظة : قال على بن الجهم لخالد الكاتب : هب لي
بيتك الذى تقول فيه

ليت ما أصبح من رقة (م) خديك بقلبك
فقال : يا جاهل هل رأيت أحداً يهرب ولده ؟

١١ - لئلا يرى فى غيرها منة الكمل

أبو النصر الزورنى :

ولا أقبل الدنيا جميعاً بمنة ولا أشتري عز المراتب بالذل
وأعشق ككلاء المدامع خلقة لئلا يرى فى عينها منة الكمل

١٢ - وهو مبروس عند الجمهور

فى (الكلم الروحانية) : سئل ديوجانس عن أشعر
اليونانيين فقال : كل واحد عند نفسه ، وهو مبروس عند الجمهور

محرر اسعاف النفساني

الديمقراطية

تساوى الفرص لا تساوى الأنصبة

للأستاذ أديب عباسي

للسباق فالديمقراطية الصحيحة أن ينطلق المتبارون من نقطة واحدة بعد أن يعدوا إعداداً عادلاً لهذا السباق ، لا أن يكبل البعض أو يحجز عن السباق أو يترك بلا إعداد ثم يحاسب على تخلفه ويلازم على إبطائه .

وإذا فالديمقراطية الصادقة هي ديمقراطية التيسير على الناس لاظهار كفاياتهم واقتدارهم الموهوب والمكسوب . وكل ما يؤدي إلى هذه النتيجة الأخيرة فهو في صميم الديمقراطية الحق ، وكل ما يؤدي إلى عكسها فليس من الديمقراطية في شيء . وفيما يلي شرح لوسائل تيسير الديمقراطية على النحو الذي عرفناها به .

وفي أول هذه الوسائل بل أولها أن يعم التعليم وينتظم التثقيف جميع أفراد الأمة ، ثم يسار فيه على نهج واضح من الاختصاص والأفراد . وعموم التعليم يحى في أول وسائل الديمقراطية لأن عصرنا هذا عصر العلم والسرعة والاقتصاد ، لانجاح فيه مضمون إلا لمن توسل للنجاح فيه بوسائل من علم يتقن أو فن يكتسب . والأوروبيون على أنهم الإدراك لهذه الحقيقة فتراهم لا يألون جهداً ولا يدخرون وسعاً في تعميم التعليم وتيسيره بحيث ينتظم جميع أفراد الأمة ويصيب كل منه على قدر استعداداته وكفاياته . وهم يبالغون ويشددون في هذا التعميم والتيسير فلا يكتفون أن يعدوا وسائل العلم والتثقيف ويتركوا أمراً اكتسابها لاختيار الجمهور وهو الأفراد ، بل تراهم يفرضون العلم والثقافة فرضاً على جميع أفراد الأمة فلا يستطيع أحد أن يستمر على أمية أو يمضى في جهل حتى لو أراد . والأوروبيون بعد لا يكتفون بأن يعمموا التعليم ويفرضوه على جميع الأفراد ، بل تراهم ينوعون العلم ويعددون فروع الاختصاص حتى يصب كل فرد من العلم ووسائل النجاح ما يتلاءم وكفاياته الخاصة ومواهبه الموروثة . وهذا هو الذي من أجله تفتح الجامعات ودور الفن الخاصة حيث يستطيع كل فرد أن ينال من العلم والفن كما وكيفاً خيراً ما يستطيع نيله . على أن حرص ذوي الشأن هناك على استغلال كفايات الأفراد أحسن استغلال لا يدعهم يتركون الأفراد وهوام واختيارهم لما يشاءون من العلم والفن

ليس بين مسائل الاجتماع ما يسمى جمهور الناس فهمه ويخطئون دلالة كما يسيئون معنى الديمقراطية الصحيح في مختلف مناحيها ونواحي تطبيقها على شؤون الحياة والاجتماع . فهي في رأى قوم تحلل من قيود الاجتماع وخروج على كل عرف وعادة ؛ وعند قوم غيرهم هي قسمة عادلة وملاك مشاع لكل ما يد الناس من متاع تالد ومال طريف ؛ وعند فئة أخرى لا يكاد يعدو معنى الديمقراطية نطاق السياسة ومجال الحكومة ، بل هذا المعنى الأخير للديمقراطية يكاد اليوم يطغى على كل معنى سواه ، وذلك لكثرة ما يحمل محامل السياسة ويورد مواردها العديدة في هذه الأيام .

أما أن الديمقراطية بمعناها الأعم ودلالاتها الأدق ليست على الحصر هذا ولا ذاك مما مر ، فشيء يحتاج إلى بعض البسط والبيان ؛ فليست الديمقراطية انطلاق النفوس على سجاياها فلا قيود تراعى ولا حدود تلتزم ، ولا هي تعنى تسليط النوكي والكسالى على جهد المجدين فينالون منه ويصيبون مثل ما يصاب المجذ بالعرق الصيب والجهد الذؤوب ؛ ولا هي تحصر في نطاق السياسة الضيق وإن وسعته الجرائد وضخمه الساسة . ليست الديمقراطية بمعناها الأدق أمراً من هذه الأمور ، وإنما هي بدلالاتها الصحيحة ومعناها العام تيسير على الناس وتهيئة لهم ليقفوا من فرص الحياة المتاحة موقفاً عادلاً فيشتركوا شركة متساوية في هذه الفرص المتاحة لا في الأنصبة المحققة ونتائج الجهد المبذول .

وبعبارة أخرى تكون الديمقراطية ديمقراطية المثل الأعلى إذا انصرفت إلى تهيئة الأسباب وتيسير السبل التي تجعل كل فرد من أفراد الأمة ينال على قدر استعداداته وكفاياته من فرص النجاح ووسائل التوفيق . وإذا شهبنا الحياة بميدان

وانما نزعهم أنهم ساروا شوطاً بعيداً في تحقيق هذا المثل ولا زالوا يسعون لصلوا نهاية الأمد.

هذا ومعظم الدول الأوروبية تسعى للمباعدة بين الأفراد وبين روح الاتكال، وللضنّ يَبذل الجهد أركاناً إلى ثروة تُورَث أو مال يأتي عن غير طريق السعي والعمل، فتراها تقتطع لنفسها من أموال الأثر مبالغ طائلة، فتقلل بذلك من روح الاتكال في الأفراد الوارثين، وتبذل هذا المال المقتطع في تيسير الكثير من أسباب الثقافة والاستمتاع والصحة لمن تعوزه إليها الوسيلة

وليس هذا كل ما يفيض إليه فهم الديمقراطية وتطبيقها على النحو الذي أبتا في أول هذا المقال، فمما لا ريب فيه أن الديمقراطية التي تفهم هذا الفهم وتطبق هذا التطبيق تكون الوسيلة التي ليس فوقها وسيلة لتحسين أنواع الانتاج المختلفة كما وكيفاً، ولبت روح الرضى والاطمئنان في نفوس الجمهور إذ ليس في الحق أبعث على الرضى في نفوس الأفراد من شعورهم بأنهم يعملون في أحسن ما أعدوا له من عمل، وأن الحكومة والهيئة الاجتماعية قد أعدتا لهم أحسن الوسائل الحسية والفكرية والروحية لتوجيه كفاياتهم في خير وجهاتها ثم الانتفاع من هذه الكفايات بإبرازها قوية واضحة أحسن الانتفاع

أرب عباس

أُريد عباسي

بل تراهم في كثير من الاحوال يتدخلون في حرية الأفراد
ويحدون اختيارهم ويربطون بنوع أبرز كفاياتهم، فترى
المربين وعلماء النفس يتوسلون باختبارات الذكاء العام
والخاص، ليدر كوا مبلغ قابلية الفرد للعلم وليدر كوا في أى
نواحى المعرفة والمهارة يستطيع أن يجيد ويبرز نسبياً أو
إطلاقاً، ثم يدفعونه في ناحية أبرز كفاياته، فتكون النتيجة
خبراً له ولقومه

ولا يكتفى أولو الشأن هناك بأعداد الفرد أحسن الأعداد وتزويده بأحسن زاد من العلم والخبرة، بل تراهم يزيلون من طريقه الكثير من العثرات والعقبات المصطنعة غير الطبيعية؛ فلا مذهب سياسى ولا عقيدة دينية ولا منزلة اجتماعية ولا نفوذ شخصى يمحط فرداً فرصة من النجاح لا تؤهلها كفاياته على وجه الدقة أو التقريب. هذا ولنا نزع أن جميع الدول الأوروبية بلغت من فهم الديمقراطية وتطبيقها هذا المبلغ، وأما الذى نزعمه أن معظم هذه الدول الأوروبية تفهم الديمقراطية هذا الفهم ويسعى مخلصاً لتطبيقها، ومن هذه الدول من بلغت شأواً بعداً فى التطبيق.

ولا يقف الاوربيون من تحقيق الديمقراطية عند هذا الحد الذى شرحنا ، بل تراهم يبذلون قصارى الجهد ليهيئوا لجميع أفراد الشعب جواً روحياً متقارباً لافى دور التعليم

وحسب، بل في كل مرحلة أخرى من مراحل الحياة .
 ترى الحكومات الأوروبية تبذل الجهود الكبيرة
 والأموال الوفيرة لإنشاء الحدائق العامة ودور
 التمثيل والسينما والمكتبات العامة وخلافها من
 المؤسسات الاجتماعية الروحية ، فلا يكون
 ميسوراً لأفراد دون أفراد سبيل الاستمتاع بما
 تسمه هذه المؤسسات من متع روحية غالية .

ويدرك الاوربيون العلاقة الوثيقة بين صحة الجسم وبين صحة الفهم وجودة الاتاج ، فترى الحكومات والجماعات غير الحكومية تبذل أقصى الجهد لانشاء الاطفال نشأة صحيحة سليمة ، ولا نزع من هنا أنهم بلغوا المثل الاعلى في هذا الشأن



تلخيص وتعليق

أسبوع الجاحظ (*)

لمندوب الرسالة

أتينا في الرسالة (١٩٥) على خلاصة ما قيل في اليوم الأول من أسبوع الجاحظ الذي قامت به كلية الآداب ، وقد كان هذا غاية ما أدركته الرسالة وهي تحت الطبع ، ونعود ففقدنا إلى قرائنا إجمال ما قيل في الأيام التي تعاقبت بعد ذلك

اليوم الثاني

كان القول في هذا اليوم للأستاذين : أمين الخولي ، وعبد الوهاب حمودة ، وكان على الأول أن يقول في منهج التفكير عند الجاحظ ، وكان على الثاني أن يقول في أسلوب الجاحظ وقد ابتدأ الأستاذ الخولي كلامه فقال : يقتضينا منهج البحث والتفكير - ونحن نتكلم عن منهج الجاحظ في التفكير أن نعرف هل كان الجاحظ يقول بالمعرفة أم كان سوفسطائياً ، لأنه كان يقول بالشيء وضده . والحق أنه كان يقول بالمعرفة ويتهجها ، وله في ذلك من الآثار كتاب المعرفة وكتاب الجوابات وغيرها من الكتب التي لم تصلنا ، إلا أن موضوعاتها تدل على أن الرجل كان من القائلين بالمعرفة . قال الأستاذ : وطريق المعرفة عند الجاحظ للحواس والعقل على اتهام للحواس واطمئنان للعقل ، ولا شك أن الجاحظ كان له في الدين والآداب والحيوان وكثير من النواحي ، وكان له في كل ناحية من هذه منهج تفكير ينتهجه ، فهل كان في كل منهج منها على حظ واحد من الاجادة ودرجة متفقة في السير ؟ إننا نرى أنه كان في كل مناهج تفكيره متكلماً أكثر منه أي شيء آخر ، فقد كان الرجل من علماء الكلام ، وكان يتخذ الكلام صناعة وتلك كانت شغنة المعتزلة فإنهم أهل جدل وكلام ومناظرة ، وقد أخذ الجاحظ منهجهم واحتذاهم ، وقد أمعن في ذلك حتى طغى منهجه الكلامي على تفكيره الأدبي . فكان يحفل بالجدل ويعنى باختلافات القوم يسردها وينقدها . ثم عرض

(*) سمنا أن كلية الآداب قررت طبع هذه المحاضرات في كتاب خاص كما قررت من قبل ذلك طبع محاضراتها في المنهج ، ولذلك لم نطبعها للمصحف

لمذهب الرجل في الصدق والكذب وقال : أنه كان يحتاج للشيء وضده تطبيقاً على رأيه في الصدق !!

وتكلم على منهجه في الرواية فأورد كلامه في كتاب الحيوان عن اصطناع الكتب ثم قال : ومنهج الجاحظ في ذلك مبنى على البيان والخبر ، ولكنه ينقد ما وصل إليه من الأخبار ويرده إلى اليقين العقلي كما انتقد الخطبة المنسوبة لمعاوية (١) .

وأتى بعد ذلك على منهجه النظري فقال : إنه كان يحترم العقل ولكنه مع ذلك لا يرى أنه يكفي لسعادة الناس في دينهم ودنياهم ؛ ثم هو يحترم أشياء قد جاءت على غير النهج العقلي وإنما هي نظرية سماعية كخلق عيسى وحواء وغير ذلك . وكان يرى أن الشرع إنما جاء حاداً للعقل . وكان الجاحظ يشك فلسفياً ولكنه شك المتكلم بكتني بالظواهر والمظاهر لأنه يعتد بعقله ويحترمه

قال : وكان الجاحظ يأخذ بالمنهج التجريبي ولكن منهجه في ذلك كان ناقصاً ؛ ثم عرض لنظريته في المشابهة بين الإنسان والفرد ، وقارن ذلك بنظرية دارون ، ليظهر الفرق بين التجربة الناقصة والتجربة الكاملة الممحصنة . وضاق الوقت عن أن يتكلم الأستاذ في منهج الجاحظ الفني فاعتذر وقد ختم كلامه بقوله : إن منهجنا في تكريم الجاحظ منهج ناقص ، لأن آثار الرجل لم تصلنا كاملة ، فلعلنا نعمل على إخراج آثاره للناس ، فبذلك نكون قد كرّمنا الجاحظ حقاً وذكرناه واتفّعنا به

وقام من بعده الأستاذ حمودة فقال : إن أسلوب الجاحظ مرآة نفسه وحسه ، وصورة عقله ومزاجه ، وقد عرف الجاحظ في أسلوبه بخصائص لم يسبق إليها ، منها : مزج الفكاهة بالجد ، والبرهان المقنع بالتهكم الموجه ، وسبب ذلك دمامة شكله ، فإن أهل الدمامة قوم تشيع فيهم الدعابة ؛ واستدل على ذلك بما كان من حافظ وإمام العبد ونظير وأضرابهم . ثم تطرق إلى دعابة الجاحظ في شيء من البسط والإفاضة ثم قال : وكان الجاحظ يتخذ التهكم أسلوباً من أساليب النقد والافتقار ، ورسالة الترييع والتدوير نمط من ذلك ، وبعد أن قرأ الأستاذ فقرات من هذه الرسالة قال : وكثير من المتأدين يحسبون أن ابن زيدون هو أول من اتخذ الأسلوب التهكمي في رسالته الهزلية

(١) هذه الخطبة في البيان والتبيين وقد قال الجاحظ إنها بخط الإمام علي أئيب

تأجلاً لروحهم وعاطفتهم ؛ هذا في رسائله العامة ، أما في كتاباته الخاصة فقد كان يقصد إلى التتميق والتنويق ، ويحفل بالديباجة المشرقة ، ويعتمد بالشواهد والأمثال يقجماً في ثنايا كلامه

اليوم الثالث

وفي اليوم الثالث تكلم الأديبان شوقي ضيف وعبد اللطيف حمزة ؛ فتكلم الأول عن الجاحظ بين النقد والبلاغة فقال : لقد كانت مكانة الجاحظ في ذلك كمكانة أرسطو في الخطابة عند اليونانيين ، وكان الجاحظ لا يكتب للخاصة فكان يعرف أن كتاباته في حاجة شديدة إلى التوايل لتقريبها لأذهان الجمهور

ثم قال : والنقد لم يبدأ كفن إلا في العصر الأموي ؛ وقد كانت الشعوية هي أول حائز على النقد لأنها كانت حركة هدامة تشك في كل شيء ، وكانت تشك في بلاغة الأدب العربي ، والشك في بلاغة الأدب العربي شك في بلاغة القرآن ؛ ثم جاءت بعد ذلك بيئة الأدباء واللغويين في المربد وغيره من أندية الثقافة فأدوا كثيراً في خدمة النقد والبلاغة ، وقد اتصل الجاحظ بكل هذه البيئات وأخذ عنهم . ونحن يصعب علينا أن نحدد ما للرجل في ذلك وأن نميز أقواله من الأقوال التي اقتبسها

ومهما يكن من شيء فالجاحظ قد فصل الأدب عن الأخلاق وروى كثيراً من الأدب العاري . وكان يطلب من الكتاب أن يتقفوا ولكنه لم يطلب من الشعراء ذلك . والحق أن الجاحظ كان فاقداً ممتازاً ، وكانت له طبيعة في ذلك ؛ وكان حر الرأي فلم يقدم القديم لقدمه ، ولم يرفض الحديث لحداثته . وكان عرياً ولكنه كان يحترم شعراء الشعوية ويقدمهم فدمح بشاراً وأبا نواس وأمثالهم . ولقد كان الجاحظ بآرائه حرياً بأن يخلق من حوله حركة أدبية حافلة لو أن النقد تابعوه ، ولكنهم انصرفوا عن ذلك واكتفوا بنقد النصوص نقداً لفظياً نحويّاً ونعويّاً

وليس كتاب البيان والتبيين فيما أرى صدى لخطابه أرسطو^(١) وأنا لأشك في أن الجاحظ لم يره ، وما ذكره

(١) هو هنا يرد على الأستاذ حمزة ولكنه لم يحس حجة بالنقد

إلى ابن عبد وس ، وإنما هو تليد الجاحظ . في ذلك ، على أن فنه أشبه بالهجاء وأبعد من التهمك والسخر

ثم وازن بين الجاحظ وبين ابن المقفع فقال : إن ابن المقفع حكيم يستمد حكمته من نفسه ؛ فتجربة الدنيا هي التي كانت تمل عليه ما يكتب ، ولكن الجاحظ كان يهيج نهج من درس خطابه أرسطو فتأثر بها إلى حد بعيد^(١) ، ومن المشابهة بينه وبين أصحاب الخطابة في الأسلوب استعماله القياس المضمحل وهو ما عرف عند البديعين بالمذهب الكلامي ؛ وقد كان الجاحظ أول من قال بهذا المذهب واستخدمه وأنكر وجوده في القرآن وتابعه ابن المعتز ورد عليه ابن أبي الأصبع ... قال وإنما أخذ الجاحظ ذلك من كتاب الخطابة لأرسطو . وهناك دلالة قوية تدل على أن الجاحظ قد اتفح بكتاب الخطابة ، ولكن هناك يعترضنا سؤال وهو أن الجاحظ قد أنكر أن لليونانيين خطابة ، والجواب : أن الجاحظ حينما قال ذلك قاله وهو يرد على الشعوية الذين كانوا يقولون إن الخطابة عند كل الأمم تنقصا للعرب ، فوقف الرد هو الذي ألجأه إلى ذلك الإنكار . والجواب الثاني أنه لم يطلع على نصوص خطابية لليونانيين ، والثالث أنه انتقد التراجم والمترجمين لليونانية وانتقد على الخصوص ، كتاب المنطق بأنه قرأه في أسلوب سقيم مترجم^{١١}

فالجاحظ لا شك قد تأثر بكتاب الخطابة لأرسطو كثيراً ومنطقه ، وليس كتاب البيان والتبيين إلا صدى لذلك الكتاب . وكان الجاحظ على طريقة أهل الخطابة يستخدم التمثيل إذا أحوجهم الدليل وأعوزته الحجة ؛ ومن ذلك ما كان في رسالته تفصيل السودان على البيضان ... ثم قال : ومن خصائص الجاحظ : قصر الفقرات والازدواج ، وتعمد السجع دون أن يتكلفه ، وكذلك الاقتنان في الأسلوب ، والتقليل والاستطراد ، والتقصي للمعنى حتى لا يترك فيه بقية . أما الخصائص التي يشركها فيها غيره ، فالسهولة والسجع وما إلى ذلك من خصائص الكتابة الشائعة في ذلك العصر .

وبعد ، فالسبب الجاحظ تأج عقله وفكره أكثر منه

(١) تخالف الأستاذ الفاضل في هذا الرأي ونعتقد أن ابن المقفع أكثر تأثراً من الجاحظ بالثقافة الفارسية واليونانية ، وقد كانت كل حكته أو جلها من ذلك المعين

ابن النديم لا يفيد ذلك ، وإن كان العرب قد وقفوا على شيء من الثقافة اليونانية والجاحظ لم يكن من رجال المنطق . وقد عابه قدامة بأنه لم يذكر أقسام البيان ١١

وقد أثرت أراء الجاحظ فيمن جاء بعده (١) ، ولعل أهم هذه الآراء مسألة اللفظ والمعنى ، وقد أطال الجاحظ القول في هذه المسألة وهي عنده قبل كل شيء مسألة دينية لاتصالها بـ بلاغة القرآن . وقد أسقط الجاحظ قيمة المعنى وجعل اللفظ هو كل شيء ؛ وقال إن المعاني مطروحة في الطريق لكل الناس يلتقطها العاقل وغيره . وقد قن العلماء بعد الجاحظ بهذا الرأي ووافقوه عليه . وقلنا نجد فيهم واحدا اهتم بالمعنى والبحث فيه ، بل إنهم أسقطوا المعنى ولم يروا له فضلا (٢) ١١

ومن بعد ذلك أخذ الأديب عبد اللطيف حمزة في الكلام عن « الجاحظ المعتزلي » فابتدأ القول في نشأة الاعتزال ، فمرض لحركة الحسن البصري في مسجد البصرة وما كان بينه وبين واصل ، ثم قال : ومضت الدولة الأموية ، وأنت من بعدها العباسية ، وجاء الفرس بزيارهم ويلايهم ، وأقول بـ يلايهم لأنهم جاؤوا بالاحاد والزندقة ورفعوا لواء الشوعية ، ولا شك أن المعتزلة هم الذين استطاعوا أن يردوا هجمات الفرس وأن يكتبوا الشعوبين لأنهم تدرعوا لذلك بالنقل والعقل والفلسفة والكلام ، فكان المعتزلة قوة كبيرة تجاه الزنادقة والملاحدة .

وبعد أن أورد الأصول للمعتزلة عند المعتزلة وشرحها وحدد العلاقة بينها وبين غيرها من الفرق قال : وكان للمعتزلة مدرستان ، واحدة في البصرة ، والاخرى بالكوفة ، وقد كان من أقطاب الاولى النظام ثم تليذه الجاحظ ، وكان المعتزلة على مقتضى تعاليمهم يتوارثون حرية الفكر ، فهم ولا شك جماعة أحرار الفكر كما يسميهم المستشرقون . وكان يطلق على كل اتباع رجل منهم اسم هذا الرجل فيقال النظامية لاتباع النظام ، والجاحظية لاتباع الجاحظ ، ولقد كان لهم بحكم مهمتهم في كل ناحية من نواحي الفكر ، فكانت حركتهم - كما يقول

(١) أنظر تجد الأستاذ قد ناقض نفسه فيما يقول إن النقاد لم يتابعوا الجاحظ ناد يقول إن أراءه قد أثرت فيمن جاء بعده وهذا الرأي هو ما نراه

(٢) الظاهر أن الأستاذ قد تأثر كثيرا بما كتبه الدكتور طه في مقدمة نقد النور ، والواقع أن قضية اللفظ والمعنى كانت من القضايا التي طال فيها جدال النقاد ، فاعتد بعضهم باللفظ واعتد بعضهم بالمعنى واعتد بعضهم بالاعتد

الأستاذ أحمد أمين - إرهاباً لحركة فلسفية منظمة توليها الكندي والفارابي وابن سينا وأشكالهم .

ولقد أخذ الجاحظ عن المعتزلة جميع مزاياهم ، وكان بوقاً عظيماً لأرائهم يذيعها في الناس ويشرحها وقد ينتقدونها ، ثم أشار إلى آثاره في ذلك فقال : إن أكثر رسائله قد ضاعت في أجواء العصور الخالية ، وقد وصلنا بعض نصوص تدلنا على أن الجاحظ كسائر المعتزلة يطعن على أهل الحديث الحشويين . - وله رسالة في مدح النبي ورسالة في الاحتجاج للنسوة ، ورسائل أخرى في الرد على اليهود والنصارى والرافضة وقد كانوا أعدى أعداء المعتزلة . ثم له رسالة في فضيلة المعتزلة رد عليها ابن الراوندي برسالة سماها فضيحة المعتزلة وهي التي عني بدحضها ابن الخياط في الانتصار

ولكن مهما قيل في الجاحظ المعتزلي وأخذ به بحرية الرأي لا بد أن يكون له نظر في حرية الارادة وهي مسألة المسائل بين علماء الكلام ومبعث الخلاف بين الفرق المختلفة ، وقد كان الجاحظ كما عرفنا معتزلياً شديد الاخلاص لفرقة . وأكبر الظن أن الرجل قد وجد حلاً لهذه المسألة في نظرية الطبيعيات . والظاهر أن الجاحظ قد طبق هذه النظرية على العالم الاخرى ، وقد حمله هذا على الكلام في مسألة المعارف أو المدركات على أن مسألة الطبيعيات لم تكن من ابتداع الجاحظ ولكنه شرحها وبسطها وطبقها ، وإما هي لاستاذة النظام ؛ وقد جاءت هذه النظرية عند بعض الفرق الاخرى ، حتى نظرية العوارف التي أشرنا إليها قد انتج الجاحظ فيها نهج أرسطو ، فالظاهر التي يتجلى فيها اعتزال الجاحظ تبدو في تعصبه للمعتزلة والدفاع عن آرائهم والاشادة بفضيلهم ، وخصوصاً بفضل أستاذة النظام ، ثم في الاشياء التي عرف بها وخاصة رأيه في حرية الارادة ، وأخذ بحرية الفكر إلى أبعد حد ، فإن الدولة كانت لاتشجع على حرية الرأي لغير المعتزلة (١) ، ومن ثم نعرف أن الجاحظ لم يصف كثيراً لأراء المعتزلة ، ولكنه تولاهما بالشرح والاذاعة .

م . ف . ع

(البقية في المدة القادم)

(١) الذي نعرفه أن حرية الرأي كانت مكفولة لكل إنسان حتى وسعت ابن الراوندي في مبادئه ومخالفاته ، وقد كان رجلاً متقبلاً يرتزق من الطعن في الأديان وأهل الفرق . وكان يبيت مع اليهود ويصيح في جانب النصارى

مجلات في الأدب الفرنسي الحديث

تطور الحركة الأدبية

في فرنسا الحديثة

للأستاذ خليل هندواي

النظرية الفنية للعقل - الرمزية

بينما أخذ المذهب الطبيعي يضمحل ثم ينتصر بعض أعوام في القصة . كان مذهب جديد يذر قرنه في عالم الشعر والفن . هذا هو مذهب شعراء وفنانين كانوا يزعمون أنهم لا يعلنون الأدب كله ولكن تأثيره أخذ يمتد ، وحدوده بدأت تتسع ، حتى أصبح مذهب العقل والحياة الباطنة ، يؤثر في كل أشكال الفن ، ويعمل في كل حقول الفن . هذا مذهب « الرمزية » الذي نبتت أصوله عند الشاعر « بودلير » وكان تأثير « بودلير » آخذاً في الانتشار . ومن يحدد ما كان لبودلير من تأثير في شعراء « الرمزية » ، ولا سيما في الشعر الحديث الذي تهيم عليه تفجعات « بودلير » . وهذه الرمزية الخفية تولدت من آثار « فرلين » ومن آثار « رامبر » ،

بول فرلين PAUL - VERLAINE

إحساس فرلين ، خياله ، فنه ، تطوره (١)

إحساس فرلين

لم يكن لفرلين خاصة معلومة من خواص العقل ، لأن حياته لم تكن تقاد بتأملات عقله وإنما بفرائزه وإحساسه ، ولم تكن لفرائزه من حاجة ولا غاية ، وإنما هو الكسل والاخلاد إلى الدعة وطلب اللذائذ التي شغلته حتى لقي حتفه متسماً بالكحول . أما إحساسه فلم يكن عميقاً ولم يكن معقداً . فبينما هو ينظم أحياناً عاطفية على المذهب الوجداني إذا به ينكر الهوى والتشاؤم العاطفي . ولم يكن يتحرى عن السمو فيما ينشده وكان يجهل الدركات التي تنشط فيها الإنسانية في شدتها وفاقها . يحب الحب ويترنم بالحب . وإذا لم ينشد اللذة البسيطة فهو لم ينشد أيضاً حب الأوهام . إن جد كان حلياً ، والغواني اللواتي أحبين كن أقرب إلى الأوهام . وهذه الأوهام كانت عنده ظلالاً وأشباحاً . أحلامه هي قلق

(١) سبق لنا فصل عن « فرلين » نشر في الرسالة

خفيف يتولد من طفولته ، وإحساسه إحساس بسيط سرعان ما يسأم . يلبس حيناً رداء الصدق وحيناً رداء الكذب . فيه حياة وإبهام . وقد يكون أوجه وسطاً لو لم تدب به الخيلة والفن

خيلة فرلين

إن الخيلة الكلاسيكية والرومانتيكية هي التعبير عن المعاني بصور فهمها العقل وحلها ، ويقدر على تحليلها . أما خيلة « فرلين » فقد كانت خيلة صافية ، أي أنها كانت تأسرنا الصورة دون أن تجرب أن تفهم معنى الصورة . والشاعر يحس أن الصورة لها معنى وأنها تعبر عن حالة في النفس . ولكن هذا التعبير ماهر إلا « مطابقة لها » إذ يصعب عليه أن يعبر عنها تعبيراً منطقياً . وهكذا تندو الخيلة المحدودة بالتأثير المنطقية خيلة تائهة شاردة . والأوهام الشاردة - عند فرلين - لا تندو قاعدة أو مذهباً أدبياً . فإن غبته الصيانية تملك على أحلام صافية تعبر عن صور صافية . وتملك على أحلام أخرى يهيم عليها نوع من النطق المشوش . وأحلام تلحم مع افكار صافية لتضيئها ثم لتجدها . وهكذا يبدو على أسلوبه الخيالي سماء الأسلوب المدرسي ، والأسلوب المتفكك . وليس لهذه الخيلة من قاعدة إلا الهوى والاختيار الباطني . هذا هو مذهب فرلين ، إحساس متحرك صياني يلتقي بسرعة مع خيلة سريعة الالتقاط للأحلام المتبدلة . إذ يرى واجبه أن يعبر عن هذه الرسائل السرية المحسوسة بشدة وحدة . وهي تربط هذه الحركة بهذه الأوهام . وهذه الانعكاسات بهذه الأشباح ، يغمرها كلها ظلمة لا يمشي فيها نور . لأن روحه الشقية وعبقريته يجدان فيها الراحة والحياة . وقد دأب فرلين على التأمل في الفن المدرسي وأصحاب هذا الفن ، ذاهباً متحرراً عن الفن الذي يستطيع أن يعبر عن نفسه لنفسه ، وتخطب نفسه به نفسه

فن فرلين

إن فرلين لم يبتكر كل شيء فقد تحرى شعراء قبله في أوقات مختلفة عن هذا الفن الرقيق ، وفرلين نفسه لم يحدد ما كان لبودلير ومدام ديسبور دفالور ، من تأثير فيه . كما أنه تأثر بشعراء من الانجليز ، تلامه ودرسهم يوم كان في إنجلترا . على أن بودلير ومن ذهب مذهب كانوا يحاولون أن يقرأهم الناس ويفهمهم . وكانوا - في الساعات التي تتكاثف معانيمهم - يصورون الوضوح في التعبير والتركيب والنحو . أما فرلين فقد ذهب غير هذا المذهب إذ أراد أن يكون إنشائه خفياً ، وأراد أن يضع ججاً على لفته وأوزانه التي تعبر عن حالات نفسه الخفية ، وبهذا تراه - من أجل غايته هذه - خرق كثيراً من القواعد ، فانت ترى بعض عباراته

تقارب وتلاحق - غنية عن عناء المنطق - بنعمة باطنية من الهوى الذى يغمرها . وحركتها لا تكون إلا إيقاعاً موسيقياً لا يحد فيها الاعراب أسباب جملة صحيحة . وإنما هي جل موسيقية لا جل منطقية ، على أن عبقرية فرلين تتجلى في أنه عمل على إيجاد أوزان باطنية موسيقية للتعبير عن خطرات النفس الباطنة تحمل محل الأوزان الظاهرة وقد كانت عاطفته في ذلك دقيقة مرهقة ، وذوقه عميقاً في انتقاء الألحان الملائمة المنسجمة التى تعبر عن المعاني ، وإنك لتجد شعره - سواء كان صافياً أو مبهماً - يبدو كأنه يتجرد من كل معنى - وينتهى من وصوله إلى العقل حتى ينسكب في رعشات أحساسنا الرقيقة

تطور فرلين

لقد كان « فرلين » من بدء حياته الشعرية هدفاً لأطوار متباعدة ، ولقد يكون انتقاله من طريق المذاهب المدرسية أقل حركة لو لم يتصل « بالشاعر رامبو » الذى كان تأثيره فيه تأثيراً عميقاً . وقد اتصل به فرلين اتصالاً وثيقاً طوال سبعة عشر عاماً . وهو الذى أوحى إليه بأن يزدري هذه الحياة « العاقلة » والفن « العاقل » وهذه التأثيرات الرثة . وقد عكف « فرلين » على شرب الكحول حتى أرعشت قوته ، وطوت قوته ، فأتت به الفاقة والشقاء والموت وأصبحت عبقريته الشعرية لا ترسل إلا شعاعاً . وأصبحت طريقته الموسيقية ، من عهد إلى عهد - تتمتع ضيقة الانفاس

أرتور رامبو

نشأ « رامبو » نشأة شعرية ، وكتب مقاطيع مختلفة على أساليب مختلفة . وقد حذا حذو « ليكونت دي ليل » وبودلير وفرلين قبل عام ١٨٧٠ ولكن آثاره كانت تطفئ عليها بخلة محومة ملتهبة تدفعه دائماً إلى المجهول . وسرعان ما تلاشى عنده وجود العالم الحقيقى حتى أمسى عالماً لمظاهر باطلة . إن الاحساس الحقيقى هو هو إحساس ابن صدفته وابن حادثه . . . هو الحجر المطروح في الماء ،

أما ما هو أكثر اعتباراً فهو تلك الرعشات المترججة في الينبوع . هنالك حيث يبصر العقل العادى - على شاطئ قناة مظلمة مصنعا للخمر ، يؤكد لنا « رامبو » بأنه يجد على ضفة نهر لامع معبداً هذه الآوهام هي حقيقة الوجود . وما عسى يغدو الوجود إذا خرجت منه ؟ إنه في هذا الوجود لغريبة طبيعية ، في هذا الوجود الحقيقى وحده لا يبق للنطق المعهود إلا العمل . أما السحر الباطنى فله طرائفه التى لا تفهم ، ولكن الانسان يحسها ويتبناها

بطريقة خفية وحاجة خفية كما هو الحال في أجزاء خاتم غير متطابقة نراها طبيعية ضرورية . وإذا أردت الدخول في عالم الشعر فلا تطلب ذلك العالم البالى السائم الكاذب محاولاً أن تعبر عن عالم الظواهر العملية ، وإنما يجب أن تغادر هذا العالم وتفر منه إلى عالم جديد . فيه تفتح الحقيقة الشعرية والاحلام الحية . . . وقد وجد « رامبو » أن اللغة العادية عاجزة كل العجز عن التعبير عن هذه الحقيقة الرمزية ، فعمل على تنقيحها تنقيحاً فنياً ، فافترض لكل مقطع لونا وحركة ، وعمل لكل فعل معنى من معاني الشعر . وبذا تولدت الكلمات وأصبح لها أوقاع خاصة . . . والكلمة عنده أصبحت تتألف من ألحان يجب أن ينظر في توقيعها الموسيقى لا في معناها ، وهكذا أخذ شعر « رامبو » ينزاح من زمن إلى زمن عن تأثير الصور الواضحة والمنطق ، وأخذ يغدو كجودة موسيقية للحلم الباطنى بفصل أصوات « كلماته » ورناتها .

المدرسة الرمزية^(١)

نشأت مدرسة جديدة بتأثير « فرلين » و « رامبو » وفلسفة « شوبنهاور » وهذه المدرسة الجديدة اتخذت لها الرمزية اسماً . وحقيقة أمر هذه المدرسة أنها نشأت ناقحة على الشعر التقليدي عاملة على خلق شعر جديد . أما تعاليم هذه المدرسة فليست من الواضح والترابط على شئ . وإذا شئنا أن نحال معنى « الرمز » كما أرادوه لا يصل بنا ذلك إلا إلى كلام لا ينفى ، وإنما يفهم هذا الرمز ، ويفسر معناه العميق الحى من خلال آثار هذه المدرسة ونصوصها . وأما مذهبها العام فهو أن الشعر إنما هو تعبير عن الاحساس لا عن عقل الشاعر . وهو يتجه إلى إحساس القارىء . الشاعر يعرفه إحساس ما فيبرعته بلغة عقله فيدركه القارىء بلغة عقله بعد أن يكلف إحساسه بالاهتزاز وفى هذه الأطوار نرى « التأثر » قد تغير وضعف وانعدم . إن الشعر الحقيقى ينبغي أن يكون اشتراكاً مباشراً لاحساس مع إحساس . إذ يجب ألا يتوقف على عرضه والتحدث عنه وإنما يتوقف على « التلقين » والايحاء ، كالوتر يرن باللحن الذى يعطيه . . . ويقول في هذا المعرض الشاعر « هنرى دي رينى » : « إن الشعر أصبح يهجر أسماه الخطائية القديمة التى ارتداها طويلاً . أصبح لا يحلل شيئاً وإنما يلقي ويوحى . . . ويقول ما لا يرى » إن تسميتك للشئ تذهب بثلاثة أرباع ارتياح الشاعر ، وذلك الارتياح الناشئ عن طريقه بالتنبؤ عن الشئ قليلاً قليلاً ، إن التلقين هو الحلم ،

(١) سبق لنا فصل عن المدرسة الرمزية نشر في الرسالة

وأوزانه ، فعمل البعض من الرمزيين على الانطلاق والتحرر منها لاسيما الشاعر غوستاف كاهن . . . المذهب الوحيد هو الموسيقى الباطنة ، والتعبير الرومانتيقي كان نوعاً من هذه الموسيقى . . . وهناك أنواع أخرى موسيقية يبتكرها التوليد وتخلقها النفس المستوحية .

مثالان من شعراء المدرسة الرمزية

هنرى دى رينى HENRI DE RÉGNIER

لم يكن هنرى دى رينى ، شاعراً رمزياً إلا لأنه عاش في زمن الحركة الرمزية . ورويدا رويدا عاد إلى شعر فيه الروح المدرسية والبرناسية . وبذلك اختلط عليه الأمر وكان في كثير من مقاطيعه قاضحاً للدعائى الرمزية .

نفس الشاعر تتطابق بكليتها نحو حلم ، حلم قصيدة من قصائد الرعاة حيث تجتمع أفراس الحواس والقلب والفن وتمتزج في رقة ناعمة صافية . حلم موطن بعيد يعج بالاشكال الالهية والافراح الشاعرة ولذات الحياة . ولكن النفس الانسانية نفس قلقة مضطربة والانسان ابتكر الفكر والعلم والمهوى والخطيئة . أراد أن يبدل الحياة وأن يستعيد لها . فتحرى عن حقائقها المكتومة في مظاهرها . وعن بقائها في فنائها ، وعن هم المستقبل في طرب الحاضر . وهذه تجربة عميقة مبتذلة أوحى إلى كثير من الشعراء . والشاعر المدرسى عبر عن هذه الخطرات بأسلوب واضح وأفكار منطقية . ولكن في طبيعة هذا الحلم الباطنى اضطرابات وتموجات يحس بها قبل أن يبدأ العقل عمله .

فالحلم يفصل بين أمواج الخيالات الباطلة والقلق الراهن ، وعواصف الحياة الحقيقية ترفعه من هذه الاضطرابات المفاجئة وتحيطه بظلال سوداء تنزلق . وليس في هذا مطابقات ، لأن هذه الخيالات انما تصاغ بتأملات مركبة تركيباً سيئاً . وهكذا يظل المقطع — بدون انقطاع — مشوشاً يتجاذب الخيال الشعري والعقل الشعري ، والصورة والرمز ، ثم يغدو الشاعر كجنية سكرى بالحياة الناعمة الخالية من الفكر ، والانسان يغدو صديقاً كثيراً لعيون الاحلام والعلم ، وليس من الضرورة أن يتناوب هذان الصوتان ، فقد يتعالى الصوت الواحد ممزوجاً بصدى مظلم ضجر يمل الصوت الآخر .

إننا لا نقدر أن نعرف هل يتركب الشعر من أحلام مزوقة ملفقة ، أو من أخيلة الماضي والذكريات ؟ إن ما نراه في مقاطيع الشاعر كائنات غير مثبتة ، ليس لها أسماء ولا أوطان ، لا هي أرضية لا هي سماوية ، هي بعض كائنات ، هي عابرات واحلات غريبات ، ظلال ، وجنيات ، لا ندري هل زوفا الشاعر بحياة الاحلام أو

ولكى يدركوا هذه الغاية ولدوا طرائق مختلفة ، ففروا من الأشياء الواضحة ، أو أنهم لم يبحثوا عنها . لأن جل الأحاسيس الشعرية في زعمهم مشوشة مغممة بالصور المبهمة والأحاسيس التي لا يمكن التعبير عنها بجملة إلا بعناء . ويقول « أناطول فرانس » ، لا شعر بلا معنى خفى ، فبهة الشاعر أن يتغلغل في هذه العوالم الخفية والاسرار المحجوبة ، فيقرب هذه الخفقات الحية وهذه المعاني المبهمة . ويقول « دوهامل » في معرض كلامه عن « بول كلودل » : « إذا كان كلودل خفياً مكتوماً فذلك لأن أبواب المواضيع التي يلجها انما تعبر عن سر كبير هائل ؛ ولأجل التعبير عن هذه المعاني الخفية والاسرار المكتومة ذهب الشاعر إلى توليد الرموز ؛ وليس الرمز في التشبيه والمجاز ، إذا مر التشبيه والمجاز من العقل الذي يولدهما ويقبلهما ، وانما الرمز هو تلك الصورة أو جملة صور متتابعة آخذ بعضها بأعناق بعض يحس الانسان مباشرة أو يحس ولا يدري سبب إحساسه بأن هذه الصور لا تترجم عن شيء . ولكنها تعبر — أو بعبارة أوضح تنطوى على الفكرة . والتأثير الشعري كالزهرة التي تفسر الغرسة التي هي منها وهي لا تشبهها .

ثم يغدو هذا الشعر الخفى رمزى موسيقياً ، وقد كان تأثير الموسيقى في الشعراء كبيراً في فرنسا . ولبثت الموسيقى تعد فناً بين الفنون حتى عام ١٨٨٥ ، فالموسيقى تستطيع أن تستمد من الشعر ، كما أن الموسيقى يفترق من معين وحي الشاعر . ولكنها لم تسطر على بقية الفنون ، ولكنها غدت في ذلك التاريخ الفن العتيد الذي يشرف على كل الفنون . ولقد طغت موسيقى « فاجر » ، الجرمانى على النوادى الادبية . وهدت كثيرين من اتباعها إلى القدرة على التعبير الرمزي في الموسيقى . ومن ذلك الحين طفق الشعراء يعملون على ابتكار فن يؤثر رنين الالفاظ فيه تأثير الموسيقى دون أن يقتصر إلى العقل ليترجم معانيها ، أرادوا أن يجعلوا من الشعر رقية ، وهو لا يرتل ولكنه يرقى . . . وإذا تلوته يغدو موسيقياً .

وقد قال « كلودل » في مقدمته لآثار « رامبو » ملخصاً مذهبه « بكلمات لا ينبغي أن تحرر عن معانيها وانما تقع بقلبيها الصامت ، إذ قيمة اللغة — عندنا — فيما تشير إليه أكثر منها فيما تعبر عنه تعبيراً واضحاً . فالكلمات العرضية التي ترقى إلى العقل ، وترديد جملة دائمة قد تولف شيئاً من الرقية ، ولكنها تنتهى دائماً بتجميد الشعور . وظل الأشياء يقع رأساً على مخيلتنا ثم يأخذ يدور حول نفسه .

وقامت تجربة أخرى هي تجربة « الشعر الحر » ، فان الشعر الفرنسي برغم ثورة الرومانتيقيين فقد ظل يرصف في قيوده

عن هذه الحياة في وادى الأحلام . يتقبل منها أو هام الحياة السطحية .
والأوهام التي تلتف بالكائنات لتسبر أغوارها وتكشف أسرارها
ان « لا فورج » قد هدم قاعدة قوية في الفن هي قاعدة وحدة
اللمجة الشعرية ، وأثر تأثيراً كبيراً في بعض شعراء العصر الحاضر

اتباع المدرسة الرمزية

- تفاوتت على المدرسة الرمزية سهام نافذة من النقد ونوزعت
نزاعاً عنيفاً وما كاد القرن التاسع عشر ينصرم حتى فقدت هذه
المدرسة مذهبها كدرسة . ولكنها - مهما ذهب الأمر فيها - قد
ساعدت على خلق أجواء جديدة من الفن والشعر تختلف عن
الأجواء التي خلقتها المذاهب المدرسية والابداعية والواقعية .
هؤلاء تحروا عن مثلهم الأعلى في دلائل الحياة والأعمال والتجارب
العالية ووضوح الاشكال الفنية . هب علماء وفلاسفة يعلنون أن
اليقين الذي حمله العلم إن هو إلا يقين الاصطلاح وأعمال الظواهر
أما الحقيقة فلا تزال مكتومة . لم تجع كل هذه الأسباب في إزاحة
الستار عنها . وبهذا بدأ فشل العلم وبفضله فشلت الحقيقة الظاهرة .
ولكى نجد الحقيقة سواء كانت الحقيقة الأخلاقية أو الاجتماعية
أو الفنية ينبغي لنا أن نفلت من هذا العالم المحسوس الذي لا فائدة
ترجى منه إلا الفائدة العملية ، هذا العالم الذي طالما خدعتنا مظاهره
وبياناته الكاذبة وإذا كان للحقيقة وجود فهي موجودة في عالم
خفى . . . وإنما على الفنان أو المبدع أن يذهب متحرراً عنها
في أطوار هذا العالم الخفى .

ولقد كان للمدرسة الرمزية أتباع وأنصار ، اتخذوا الصحف
الخاصة والمجلات الخاصة ، يذيعون بواسطتها عن مدرستهم وآثار
مدرستهم ، ويردون بمكرهم مكر خصومهم وأكبر هؤلاء الأنصار
وأكثرهم ذريعاً :

غوستاف كاهن : ومن آثاره الشعرية « القصص البدوية » ، وأغاني
الحب ومسكن الجنية وكتاب الصور ، وهو أول من كتب بلغة الشعر
المنثور وجعل الشعر المنثور حدوداً وقواعد وظل أسلوبه يغلب
عليه الأسلوب المدرسى . وقيمة الرمز في شعره نشأت عن عواطفه
التي أراد أن يتغنى بها ، والتي تعبر عن ألوان النفس الناشئة كأنها
رغبة محيطة مبهمة أو قلب دفين ! ولكي يعبر عن هذه الألوان
المختلفة لجأ إلى الرموز والتعابير المبهمة وكل ما فرضته الرمزية
من أنواع التلقين .

و « جورج رودانباخ » الشاعر البلجيكي وهو ممن غلب على
أسلوبهم الأسلوب المدرسى رغم ما تناول أسلوبه من معاني
الرمزيين ومن آثاره التي نمت بالمدرسة الرمزية « ملكة الصمت » ،

بالحياة التي قضاها ، ذلك ما لا ندريه ولا يدريه الشاعر . الشعر
الرمزي يتولد من هذا الاهتزاز الغير المحسوس ويتم عمله حيث
لا تلتقي ولا حقيقة ، ولكن حقيقة ملفقة واحدة هي أنة الحلم الباطني
على أن هذا الشعر الرمزي في كثير من الأحيان يتخذ له
طريقة التعبير المدرسى . وإذا كان تعبيره يظل مائعاً ، وفكرته
تبقى فكرة تلقين متحركة هادئة فإن الصورة تخرج شيئاً فشيئاً من
الضباب الرمزي لكي تتوقع بأشكال موجزة دقيقة ، ولوحات جميلة ،
قصور تتألف من ضباب . وحدائق تفرس من أحلام ، حيث
يخيل البنا أن يبدأ مفكرة شالت تماثيل من رخام وأواني من
البرونز وطاقات من الزهر . ووردة واحدة ساطعة خافتة .

جول لا فورج JULE LAFORGUE

يختلف تأثير شعر « لا فورج » عن تأثير « شعر هنري دى
رني » فهو لا يعمل على أن يحيا في مثل أعلى من البساطة والجمال
اليوناني ، لقد غره شك يائس قائم تسرب إليه من الشك الروماني
وملا قلبه يأساً . وساعد على ذلك ما ابتلى به من صحة معتلة وحظ
أنكد ، لقد كان يطمع في أن يحيط عقله بأسرار هذا الوجود .
فدرس كثيراً ، واتهم الفلاسفة التهاماً ولكنه عاد خائباً لأنه لم
يجد في هذه التعاليم التي درسها إلا ظلاماً وإبهاماً ومتناقضات
ورسا في ذهنه أن أقرب هؤلاء الفلاسفة إلى عقله هم من علموا
« الجهل الانساني » والوهم الضروري وانسياق الانسان إلى
مقادير عيياء . هؤلاء هم فلاسفة « اللا شعور » ، والقدرية منهم
« هارتمان وشوينباور » . العاقل يجرب أن يصل إلى التنسك
بشعوره بزوال هذه الاخيلة ، ويتأمل هذه العقل المضطرب
اضطراباً أبدياً في هذه الجداول من الكواكب . إن هذا العقل
لا يصرفه عن أن يكون شاعراً أى صارف . والشعر - بين الاخيلة
الباطلة - هو أقل هذه الاخيلة خداعاً . وربما هبطت أغنية علينا
لحظة وهزت حظوظنا البائسة السوداء . يمكننا أن نفكر في نساء
نواعم ، لأن هذه الكائنات حسنة . أو أن نستدعي - كما فعل قيني -
الأبواق : الأبواق الكثيرة . بشرط ألا نخدع بأوهامها ؛ الشاعر
ليس بآله ولا بساحر ولا بكائن يفارق البشر . الشاعر هو موقع ،
وموسيقى يحسن التوقيع والضرب على القيثارة .

كل الشعراء أرادوا أن يترجوا الشعر ، واختلفوا اختلافاتاً
شديداً في كنه الشعر ، ولكنهم ظلوا على ارسنقراطيتهم يحقرون
الحقيقة لأنها حقيقة الشعب كما انهم خدعوا بالأوهام البهيجة .
أما شاعرنا فهو لا يريد أن يفتي أو هامه انتقاء . هو يتقبلها كما هي
وكما تمثل له يتقبل منها على السواء ما يثير فيه كآبه وسأمته . وما يذهله

حديث الأزهار

للكاتب الفرنسي ألفونس كار

زهرة الخشخاش

كنت فيما مضى أرسل عبرى على الارقين فيرقدون ،
ولكن النوم لم يعد كافياً للناس في آلامهم ، لم يعد الانسان

والحياة المسورة . وهى مقاطيع تحف بها غفوات حاملة وهدآت
خفية . ونفوس يؤذيها الضجيج ومناظر قد يزورها الطرب أو
الكتابة تمنى خلالها أخيلة النسيان والموت . ولقد كان لهذا
الشعر الناحل المتزهد تأثير كبير .

و د بول فور ، الذى أبدع المسرح الفنى ، صاحب الارائيم ،
وصاحب طريقة الشعر المنشور التى طارها كثيرون قبله ، فلم
يستطيعوا أن يبرنوا على هذه الطريقة حتى جاء ابن بجدتها والضارب
فيها كيف يشاء . ولقد أخضع الايقاع لروحى شعري حيث تعالى
الصور بدون أن تنفد ، طوراً واضحة وتارة سرية محزنة ، فيه شيء
من الواقعية يمتزج مع التلقين الرمزي . فتبقى المقطوعة الشعرية
معلقة بين خيال الواقع وخيال الاسم كما أن الايقاع ، يعلق بين
الشعر والنثر .

د وفرنيس جامس ، صاحب ديوان د من صلاة الصبح
إلى صلاة المساء ، واتصار الحياة . يغلب على أسلوبه هذا القتام
الرمزي حيث ترى الرمز يدخل في السر والظل ، ويغيب في
الأحلام . وجامس يرى الشعر - بخلاف غيره - في الأشياء
البسيطة التى يلحها ، وفي الحظوظ المتواضعة . وتظهر على شعره
آثار الفاقة والمسكنة . وها هو ذا يقول :

د إلهي ! دعوتني من الناس فهانذا جئت !
وكتبت بالكلمات التى أهمتها أبى وأمى ...

وقد يسخر القارى من هذه البساطة في المعاني . ولكن
د جامس ، اكتشف بتابع حية ندية من الشعر . بساطة عميقة
مؤثرة . فهو يحب ويحملك تحب مثله سلامة السريرة والنفوس
الشاقة ، والحياة الهادئة الضعيفة للأشياء . والموسيقى الباطنة في
وزنه وصوره حية من صورته وكلمة ملونة .

كل هذا تراه يعبر لك عن هذه الرقة التى لاتنلس ، وعن الجمال
الحنى في كل أثر من آثار المبدع الخلاق . خليل هندائى

يكتفى بالوسن فهو يطلب الأحلام . لذلك كنت نسياناً
فأصبحت أوهاماً .

لقد اجتقر الانسان عبرى المنوم فطمع بدنى المسكر ، فهو
يطعن قلبى بالنصال ويسقى من جراحى أشباح سلوانه .

لا تكاد زهرتى ترتفع عن التراب حتى أحس بالمسبر
الجراح في قلبى مستنزفاً منه السائل المخدر يسكبه الناس في
أحشائهم فيذهب بالأشباح إلى رؤوسهم .

عند ما يرتشف الانسان كأس دمي تستنبت روحه الاوهام
أجنحة ترفعه إلى الأوج فاذا هو روح منعقة من قيودها
تقف لحظة في برزخ الحيرة ثم ترجع إلى أدراجها إلى الماضى
أو تقتحم حجب المستقبل لترفف على تذكاراتها أو آملها .

مضى الزمن الذى كنت التقي فيه يندورى إلى الناس
فيجدون بمنقوعها الوسن الهادى بعد منهكات الجهود ، ذلك
زمان كنت فيه مبعث الأحلام الهادئة الجميلة . ذلك زمان
كنت فيه أحمل الآمال الباسمة بالإيمان . فأقف إلى جنب فراش
الأم لأريها سعادة طفلها ، وأحوم حول فراش اليتيم لأريه
أمة محبة فوق جبينه تهديده بركتها بقبلة سماوية .

في ذلك الزمان كنت زهرة التعزية أعيش بسكون وأنقضى
بسلام بعد حياة تنيرها بسمات الربيع .

من هدى الناس إلى دى يستقطرونه شراباً يقتلهم ويقتلنى
ولكن على م أحزن ... أفليس الشاعر أخى ، أفليست
أشعاره كدمى كلاهما يقبضان على الروح ويرفعان بها إلى
أجواء الخيال .

إن شعر الشاعر ودم الخشخاش كلاهما السم القاتل لمن
يجود بهما ولمن يسكر بهما .

لقد كان الخشخاش جالياً للنوم وكان الشعر منزلاً للتعزية
فما كلاهما اليوم إلا سيال للسكر والجنون .

(ف.ف)

١٩ - تاريخ العرب الأدبي

للاستاذ رينولد نيكلسون

الجمالية : شعرها ، وعاداتها ، ودياناتها

ترجمة حسن حبشي



ومهما يكن من
أمر صاحب هذه
القصيدة فإن
أبياتها تنضح
بالوثنية، وأسلوبها
يدل على ذلك ،
كما أن أهميتها
القصوى تنضح لنا
من أنها أثارت
جوته Goethe

بعد أن قرأ ترجمتها
باللاتينية فقام بطبع

ترجمة لها بالألمانية مع نقد جميل للشعر في «الديوان الشرقي
West-Oestricher Divan» (١) .

وفي هذه القصيدة (٢) نرى الشاعر يصور كيف يلج به
الثأر لحاله الذي قتله هنلي ، ويصف بطولة القتيل وخلقه

(١) لما جاء في كتاب تراث الاسلام (الطبعة العربية اكتوبر ١٩٢٦) في الفصل
الذي كتبه الأستاذ جب عن الادب العربي قوله : «وتيسر للادب الفرق هنديا
كان أم عربيًا أم فارسيا أن يشغل في تاريخ الادب الالمانى في القرن التاسع عشر
حيث لم يشغله مثله من قبل في أوروبا منذ عهدنا بالادب الاسباني في القرون
الوسطى وكان أول الزهر وأينما في روضة العرب كتاب جوته : West-Oestricher Divan
(١٠ ص ٢٠٨ ص ٢ - ٨) المترجم

(٢) ذكر المؤلف قبل هذا كلاما ضريبا صفحا عن ترجمته لأنه يشرح فيه لقراء
الانكليزية ما صادفه من صعوبة في التوفيق بين البحر المديد الذي اتبعه الشاعر
العربي وبين البحر الانكليزي الذي ترجمه به الأستاذ نيكلسون القصيدة ليكون
قريبا منه في روحه وموسيقاه . (المترجم)

والغزوة التي قام بها واتصاره (الشاعر) في النهاية على خصومه
وظهوره عليهم فيقول :

إن بالشعب الذي عند سَلْعٍ لَقَتِيلًا دَمُهُ مَا يُظَلُّ
خَلْفَ الْعِيبِ عَلَى وَوَلَّى أَنَا بِالْعِيبِ لَهُ مُسْتَقِلُّ
ووراء الثَّأْرِ مَنَى ابْنُ أُخْتِ مَصْعَ عَقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ
مُطَرِّقٍ يَرْشَحُ سَمًا كَمَا أَطَّ رَقَّ أَفْعَى يَرْشَحُ السَّمَّ صِلُ
خَبِرَ مَا نَابَتَا مُضْمَلٌ جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ
بَزَقَ الدَّهْرُ وَكَانَ غَشُومًا بَأَى جَارُهُ مَا يُذَلُّ
شَامِسٌ فِي الْقُرَى حَتَّى إِذَا مَا ذَكَتِ الشَّعْرَى قَبْرُ دُؤْلٍ
يَابِسُ الْجَنِينِ مِنْ غَيْرِ بَوْمٍ وَنَدَى الْكَفَيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ
ظَاعِنٌ بِالْحَزْمِ حَتَّى إِذَا مَا حَلَّ : حَلَّ الْحَزْمِ حَيْثُ يَحُلُّ
غَيْثُ مَزْنٍ غَامِرٍ حَيْثُ يُجْدَى وَإِذَا يَسْطُو فَلَيْثُ أَيْلُ
مَسْبِلٌ فِي الْحَى أَحْوَى رِفْلٍ وَإِذَا يَغْزُو فَنَسْمَعُ أَرْزَلُ (١)
وله طعمان أَرَى وَشَرْنَى وَكَلَا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ
يَرْكَبُ الْهَوَلِ وَحِيدًا وَلَا يَصْحَبُهُ إِلَّا الْيَمَانِيُّ الْأَقْلُ

وَقَتُّ هَجَرُوا ثُمَّ أَسْرَوْا لِيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا انْجَابَ حُلُوا
كُلَّ مَاضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ كَسْنَا الْبَرْقَ إِذَا مَا يُسَلُّ
فَادَّرَكْنَا الثَّأْرَ مِنْهُمْ وَلَمَّا يَنْجُ بِمِ الْحَيْنِ إِلَّا الْأَقْلُ
فَاحْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْمٍ فَلَمَّا هُوَ مَوَارِعُهُمْ فَاشْتَعَلُوا (٢)
فَلَيْثُ : قَلَّتْ هُذَيْلُ شَبَاهُ لَهَا كَانَتْ هُذَيْلًا يَفْلُ
وَبِمَا أَذَرَ كَهَنًا فِي مَنَاخٍ جَعَجَعَ يَنْقُبُ فِيهِ الْأَضَلُّ
وَبِمَا صَبَّحَهَا فِي ذُرَاهَا مِنْهُ بَعْدَ الْقَتْلِ نَهَبَ وَشَلُّ

صَلَيْتُ مَنَى هُذَيْلُ يَخْرُقِي لَا يَمِلُ الشَّرَّ حَتَّى يَمْلُوا
يُنْهَلُ الصَّعْدَةُ حَتَّى إِذَا مَا نَهَلْتُ ، كَانَ لَهَا مِنْهُ عَلُّ
حَلَّتِ الْحَزْمُ وَكَانَتْ حَرَامًا وَبَلَايَ مَا أَلَمَّتْ تُحَلُّ

(١) الرذل : الواسع الثوب الكثير اللحم ، والسمع وله الذئب (المترجم)

(٢) أى أسرعوا في الحرب

التي تحتل مكانة سامية ، وذروة رفيعة في الأدب العربي

الأرجح أن كلمة معلقة ^(١) قد اشتقت من قولهم « علق ، أى الشيء النفيس الثمين العالى المستوى . إما لأن الانسان يتعلق بها تعلقا شديدا ، أولأنها تعلق فى مكان شريف أو بين واضح كبيت المال أو فى خزائن عامة ^(٢) ، وعلى مر الزمن تنوسى المدلول الحقيقى لكلمة معلقة ، وأصبح من الضرورى إيجاد تفسير مقبول منصوب لها . وهنا ظهرت الخرافة التي أصبحت تفسير مقبول منصوب لها . وكثرة استعمالها ، والتي تزعم أن تسمية المعلقة بهذا الاسم ، راجعة لتعليقها بأستار الكعبة تقديرا لفضلها الذى قضى لها به المحكمون فى عكاظ على مقربة من مكة ؛ حيث يجتمع الشعراء متنافسين فى انشاد أروع ما دبجته قرائهم ، وأنها كانت تكتب بماء الذهب ، على القباطى ^(٣) الواردة من مصر قبل تعليقها على الكعبة .

« يتبع ، حسن ميسى »

(١) إن أحسن طبعة للمعلقة هي تلك التي نشرها سيرشارلز ليل سنة ١٨٩٤ (طبعة لكنتا) وجماعا A Commentary on Ten Ancient Arabic Poems وهي تشمل إلى جانب المعلقة السبع المتفق عليها ثلاثة قصائد أخريات للأعشى والناطقة والدياني وعبيد بن الأبرس ، كما ترجم تلك المعلقة (مسقطا ملقى امرى الفيسر وطرفة) . وأرفق بها شرحا بالالمانية فى Sitzungsbeichte der kais. Akad. Der Wissenschaften in Wien, Philo. Histor. Klasse, Vols : 140-144 (1899-1901) .

وتلك إلى حد بعيد أسبق ترجمة للباحثين والطلاب ، ولست هناك فى النثر الانكليزي أية ترجمة مقبولة . ولكي أشير على الفارى . بمراجعة الترجمة الشعرية الانكليزية التي بلغت العاية فى الجمال والروعة وإن يكن فيها شئ قليل من التصرف وهي التي نظمها لادى أن بليست Anne Blant وسير ولفرى سكادن بليست وجميها : The Leven Golden Odes of Pagan Arabia (London 1903)

(٢) راجع مقالة سيرشارلز ليل لكاتبه An Cient Arabian Poetry وقد اقترحت عدة تفسيرات أخرى . نحو « القصائد التي كتبت بالاملاء التفتى » كما يقول فون كريبز ، أو « الرلى الذهبات » كما يسميها أهلواروت ، أو « الاسماط » كما لو كانت لآلى مدلات من قلاذ كما يدعوها أوجيت مولير

(٣) يظهر أن الاعتقاد بأن المعلقة قد كتبت بماء الذهب ناسى عن الخطأ فى فهم اسم « الذهبات » (بسكون الذال وفتح الهاء) أو المدحبات (بفتح الذال وتشديد الهاء المفتوحة) أى القصائد المكتوبة بالذهب ، وهو الاسم الذى يطلق عليها أحيانا نظرا لفتحاتها ، كما هو الحال عند الإغريق الذين أطلقوا اسم « خراسيا أى » Khrousia Epi على قصيدة تنسب زورا إلى فيثاغورس أما القول بأن بعضا من المعلقة قد أُنشد فى سوق عكاظ فهذا أهلب ما يحتل بل ما قد نأكد بغيره بشأن ما كان من معلقة هرير بن كلثوم (الافاني ج ١ ص ٢٢)

فاسقنيها ياسواد ابن عمرو إن جسمى بعد خالى لخل ^(١)
تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذيب لها يستهل
وعتاق الطير تغدو بظانا تنخطاهم فا تستقل ^(٢)

ولم تكن الفضائل التي استوعبها العربي عن الشرف معدودة كأنها صفات شخصية فطرية أو مكتسبة ، بل إراثا ورثة الخلف عن السلف منذ القدم ، ولا بد له من أن يحافظ عليه تماما حتى يسلمه إلى أبنائه دون أن تشويه شائبة مآ ، ولم يكن الأمل ، فى الخطوة بخلود النفس هو ما يحفز الشاعر العربي لأن يقول القول ويفعل فعال الشرف ، بل كان الرغبة فى أن يقاسم أسلافه ذكركم ، وينافسهم صيتهم ، وهو بهذا أبعد ما يكون عن الفلاح الاسكتلندى ، حين يقول فى مثله الدارج « الانسان بشخصه أيا كان أصله ، لأنه كان ينظر نظرة الشك والريبة إلى هذه الجدارة التي ليس لها أصل مأثور عند الآباء : وما تستوى أحساب قوم نورثت

قد يما وأحساب نبتن مع البقل ^(٣)

وإن الحسب عندهم أشبه بحصن حصين قد جد فى إقامته الآباء للأبناء أو كجبل شامخ يضرب بقلته فى أجواز الفضاء ، يرتد عنه مهاجموه بالفشل دون أن ينالوا منه شيئا ^(٤) ، وكان الشعراء يعرفون جيدا المفاخر والمثالب ، فيتشدقون بالأولى بشرف أجدادهم وكرم أرومتهم ، ويتخذون الثانية أداة ينالون بها من أعدائهم دون رعاية أو اهتمام بقواعد الأدب والحكمة .

لقد وجهت عنايتي أن أورد فى هذا المجال بعض الصفات الخاصة للشعر العربى إذا ما قورن بالشعر العبرى أو الفارسى أو الانكليزى ، ولكن لما كان إيراد الأمثال ذا جدوى غير منكورة فإني أبدأ حالا بالتكلم عن القصائد الشهيرة بالمعلقة

(١) كان من عادة العربى إذا قتل له قتل ألا يضرب الحر أو يمس النساء حتى يثار له .

(٢) الخاتمة ص ٢٨٢ وما يليها .

(٣) الخاتمة ٦٧٩

(٤) تارن هذا بما سجد بعد قبل فى معلقة الحارث

لمحة ...!

للسيد عمر أبو ريشة

أوقى الركب يارمال اليد إنه تاه في مذاك البعيد
ظلمت نوقه وجف فم الحادى وغصت لماته بالنشيد
والاشداه يلشون كخيال الخزوعادت من يومها المشهود
عصفت في جفونهم ريحك الهو

جاء والشمس عريدت في الحدود
والصبايا من الهوادج ينظر ن إلى الأفق نظرة المفنود
ليس يبصرن منك غير هضاب في هضاب مبعثرات الحدود
غابت الشمس يارمال وهذا ركب في قبضة العياد الشديد
وحبا الليل يارمال وهذا ركب أخته وطاة التسيد
فهوى فاقد الرجاء يرى المو ت مشيحاً بمنجل من حديد
فترامت إليه نار على البعد فكانت إمامة للشريد
فسرى في سنائها فاطلت خلفها مكة الفخار التليد
يا عروس الرمال يا قيس التنا نه في مهمه الضلال المييد
أمن الركب في جمالك فردى ه إلى ذكريات تلك العهد
يوم أرخى على جوانبك الوحى و جناحين من سماء الخلود
حاملا آية النبوة ما ي ن شفاه علوية التاييد
صبتها قبله على فم طفل قرشى النجار سالى الجدود
وحواليه من حمام الفرادى س حسان مرئحات القدود
ساحبات يعض البرود كما لو جمد النور فوق تلك البرود
يتزاحن واثبات ويك ن من الشوق مبسم المولود
فاذا بالسماهم تهمى تسايح وتدوى أصداؤها في الوجود
وإذا الكون بعد عيسى تعرئى نصب عيني محمد من جديد

درج الطفل والهداية تحبو ه بتاج من السناء فريد
وبحيراء في الدير يضرب في ناقوس بشرى بالسيد المنشود
والنوايات من قرش سكارى في هوى الجماهيلية العريد

هتكت كبرياؤهم سنن العقل وصالت بشرعها المردود
كم بنات لم تنفطم وأدتها كف باغ على القضاء عتيد
كم وراء الجدران في الكعبة العصى من عابد ومن معبود
جلجلت صرخة النبي فردت رجع أصداؤها أعالي النجود
وأشاحت يسراه بالمعول الصلبد ويمناه بالكتاب المجيد
قهاوت تلك الصفوف من الأص نام عن أوج عرشها المعقود
وتبارت - الله أكبر تعلو من شفاه المؤذن الغريد

أخذت غصبة البداوة تحبو بعد إعانات ضلة وججود
إنها النفس لا تبدل طبعها ألفته فكيف نفس الحقود
ومن الصعب أن يشاهد أعمى قيس الحق في الليالى السود
يوم بدر فض النزاع وبث السرب في كل أشبه صنديد
ققرش مغلوبة وأبو سفىيان في شبه رجفة الرعيد
والميامين في المدينة يطوون ن سيوف السلام طى النعمود
فأتم النبي آيته الكبرى على شعبة الكريم الودود
وانظوت بعدها الحيولى فارت فتنة في النفوس ذات وقود
وتلاشت كأنها حلم الذعر يحفن المسهد المكدود
الفجاءات كم تزلزل عزماً وترد الرشيد غير رشيد

دققت موجة الهدى تغسل الشر ك وتروى النفوس بالتوحيد
وتبث الوثام والحب والرحمة ما بين سيد ومسود
مذهب ضجت الأعاجم منه وتعاموا عن شرعه المحمود
ورأوا فيه ما يدك عروشاً شيدوها بالظلم والتهديد
فرمت بالكتائب الخرس وروما

وباباطها الغزاة الصيد

وطفى الهول والكتائب ماجت في خضم من القنا والبنود
فاطلت تلك القلول من العرب بعزم النبوة المشدود
وانحنى فوق ضمر تعلق اللجسم وتنزو مجنونة في الصعيد
وأغارت ترمى الفوارس رمياً وتحز الوريد إثر الوريد
كلما انهار حائط من جنود أتبعته بجائط من جنود

هكذا قال زرادشت

للبلدوف الأولاني فررريك بنفش

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الطفل والزواج

لى سؤال أخصك به لأسبر أعماق روحك يا أخى :
 — أنت فى مقتبل العمر وتسمى أن يكون لك زوجة
 وولد، ولكن قل لى ألسن الرجل الذى يحق له هذا التمنى؟
 أنت الظافر المتصر على نفسه، الحاكم على حواسه، السائد
 على فضائله؟ أم أن تمنىك هذا ليس إلا شهوة حيوان أو
 خشية منفرد أو اضطراب من قام النزاع بينه وبين نفسه؟
 إن ما أريده منك هو أن تتوق بانتصارك وحررتك إلى
 التجدد بالولد. إذ عليك أن تقيم الانصباب الحية لانتصارك
 وحررتك، فترفع هذه الانصباب إلى ما فوق مستواك. وهل
 بوسعك أن تفعل إذا لم تكن متين البنية من رأسك إلى
 أخمص قدميك؟
 ليس عليك أن ترسل سلائك إلى الامام فحسب، بل
 عليك بخاصة أن ترفعها إلى ما فوق. فليكن عملك فى حق
 الزواج منصبا إلى هذه الغاية
 عليك أن توجد جسداً جوهره أنتى من جوهر جسدك
 ليكون حركة أولى وبجلة تدور لنفسها على محورها، فواجبك
 إذاً إنما هو إبداع من يبدع
 ما الزواج فى عرفى إلا اتحاد إرادتين لايجاد فرد يفوق
 من كانا علة وجوده. فالزواج جريمة متبادلة ترسو على احترام
 هذه الإرادة
 ليكن هذا معنى زواجك وحقيقته، أما ما يدعوه الدخلاء
 الأغنياء زواجا فامر أحرار فى تصريفه؛ فإما هو إلا مسكنة
 روحية يتقاسمها اثنان، وذنس يتمرغ به اثنان، ولذة بائسة
 تحكم فى اثنين. ولكن الدخلاء يرون فى مثل هذا الزواج
 رباطاً عقدته السماء
 وما أنا بالمرتضى بمثل هذه السماء، سماء الدخلاء أطبقت

وضفاف، اليرموك، ترسل منها

زمزمات الحذاء لابن الوليد
 جولة ترعف الصوارم فيها وتصيح الألف هل من مزيد
 جولة كفنت بها الروم حلاً بين أقاض صرحها المهدود
 وكأن اندحارها لم يرد، والفرس، عن نشر بغيرها المهدود
 سخرت كل فيلق كسروى لم يذق قبل نكبة التشريد
 مزقه فى القادسية تلك الـ

بيض والسم فى أكف الأسود
 إن طود الرمال تحمله الريح وتذريه فى الفضاء المديد

بسطت كفها الهداية والشرق تقياً بظلمها الممدود
 رافعاً مشعل الحضارة والغرب صريع فى غفوة من جمود
 إن فى الشام من معاوية السمع بقايا من الدهام السديد
 ويغداد مسحة من نعيم تنفى بذكريات الرشيد،
 وبغرناطة من الملك الناصر آثار روعة، وللشيد،
 أمة يعرية تركت فى مسمع الدهر آية التمجيد؟
 إنما عقها البنون فزجوا بالمرومات فى بطون اللحد
 أسكرتهم لذائذ الترف الأهوج عن يقظة القضاء العنيد
 وتلوت ما بينهم تنفك السُّم أفاعى جفائظ وحقوق
 وتناسوا ما به السيد الأءظم من سنة الوثام الأكيد
 وخبت نارهم وصُبت عليهم عاصفات التعذيب والتكيد
 فاذا جبهة الشموخ لطيم تنزى بالجرح عند السجود
 وانتهت سيرة الجدود الينا فجرنا القيود إثر القيود
 والتفتنا فلم نجد غير ملك مزقه أصابع التبيد
 ونهدنا للذود عنه ولكن ما حملنا غير الإباء الحميد
 وزجعنا فكم جريح كتيب يتلوى وكم قتيل شهيد
 يا عروس الرمال يا قبس النافى فى مهمه الضلال المييد
 نحن فى هذه البلاد كذاك الـركب غشى فى طالع منكود
 أنظرى فالجوع شاخصة الأبصار تربو إلى ضياك الوحيد
 فامددى الكف للكرام فغبين أن تعيش الكرام عيش العبيد

(حلب)

عمر أبو ريشة

تخير الموت

كثير من يتأخرون في موتهم ، وكثير من يبكرون .
فاذا قال قائل للناس بالموت في الزمن المناسب ، رفعوا عقيرتهم
مستغربين . وزارا يعلم الناس أن يموتوا في الزمن المناسب .
ولكن أن لمن يعرف الحياة أن يتخير الموت في أوانه ؟

أفما كان خيراً للدخلاء على الحياة لو أنهم لم يولدوا .
ولكن هؤلاء الدخلاء يريدون أن يولي الناس أهمية كبرى
لموتهم ، وكلم من نواة تباهى بأنها كسرت وهي جوفاء . . .
لأنهم يعلقون أهمية على الموت لأنهم ما عرفوا بهجة الموت ،
فالناس لم يعرفوا حتى اليوم كيف يقدسون أبهج الأعياد .
ولسوف أتنبئكم بالموت الذي يقدس ، الموت الذي يدفع
الآحياء ويختدبهم بحوافزه وآماله . إن من أكمل عمله يأتي
ظافراً وحوله من يحفزهم الأمل وتنطوي فيهم الأمانى . تعلموا
أن تموتوا هكذا ، ولكن اعلوا أن لاظفر لمن يموت إذا هو
لم يبارك ما أقسم الآحياء باتمامه

تلك هي الميتة الفضلى ، تليها في المراتب ميتة من يسقط
في المعركة وهو ينشر عليها عظمة روحه . غير أن ما يحتقره
المجاهدون والظافرون على السواء إنما هو مبتكم الشهواه التي
ترحف لصاً وتقدم آمراً مطاعاً

ما أجل ميتى إذا أنا تخيرتها فجاءتني لآتى أطلبها
ولكن متى يجدر بالإنسان أن يطلب الموت ؟

إن من يتجه إلى مقصد في الحياة وله وريث ، وجب عليه
أن يتمنى الموت في الزمن المناسب لغايته ولوريثه ، لأنه يأف
حرمة لها من أن يلقي بالآ كليل الذابلة على هيكل الحياة
أتى لا أريد أن أحبك الخيوط وأنسحب إلى الورا كمن
يفتلون الجبال .

من الناس من لا يتجاوزون بأعمارهم الحد اللائق بالحقائق
والظفر ، وخلق بالقم المجرد عن أسنانه ألا يتناول بيانه
جميع الحقائق . على الطامعين إلى الظفر أن يودعوا الأبحاد
في الزمن المناسب ليتعننوا على فن الرحيل عن الدنيا في
الزمن المناسب أيضاً ، ومن واجب المرء أن يتوقف عن عرض
نفسه للآكلين عند ما يكفون عن تذوقها ، ولا يعرف هذه
الحقيقة إلا من يود الاحتفاظ بمحبة من حوله .

شبا كها عليهم ، تبأ لها ، وسحقاً لمثل هذا ، الإله الذي يتقدم
متراجعا ليبارك اثنين لم يجمع هو بينهما
لا يضحكنكم هذا الزواج ، فكمن طفل من حقه أن يبكى
على أبويه

رأيت رجلاً وقوراً تحسبه بالغاً من النضوج ما يدرك
به معنى الأرض ، ولكنى رأيت امرأته بعد ذلك فلاحته على
الأرض كأنها ماوى المجانين . أود لو تميد الأرض في عند
ما أرى رجلاً فاضلاً يتخذ له زوجة حقاً .
من الناس من يتجرد كالأبطال سعياً وراء الحقائق ، فلا
يلبث حتى يصطاد رباطاً مزيفاً يدعوه زواجاً . ومنهم
من اشتهر بحذره في علاقاته وبصرامته في اختياره ، فاذا هو
بين ليلة وضحاها قد أقسد حياته ووقف يدعو هذا الافساد
زواجاً . ومنهم أيضاً من كان يفتش عن خادمة لها فضائل
الملائكة ، فاذا هو يتقلب فجأة خادماً لامرأة وقد حق عليه
أن يتصف هو بالفضائل الملائكية

فتشت في كل مكان فما رأيت إلا مشترين يقلبون السلع
وعيونهم تدفق مكرراً ، ولكن أكره هؤلاء الناس لا يتوصل
في آخر الأمر إلا إلى اتباع هرة يدسها في جلبابه
إن ماتدعونه عشقاً إنما هو جنون يتنالى نوبة بعد نوبة
حتى يجي زواجكم خاتماً هذه الحماقات بالحماقة المستقرة الكبرى .
وياليت حب الرجل للمرأة وحب المرأة للرجل كانا إشفافاً
يتبادلان إلهان يتالمان ، ولكن هذا الحب لا يتجلى في الغالب
إلا تفاهماً بين إحساس حيوانين . وما خير الحب لو تعلمون
إلا تحول واضطرام في ألم وخشوع ، إن هو إلا المشعل ينير
أمامكم مسالك الاعتلاء . وسياق يوم يتجه فيه حبكم إلى مقر
أبعد وأرفع من مستقر ذاتكم ، لقد بدأتم بتعلم الحب ، لذلك
ترتشفون الآن المرارة الطافية كالحب على كأسه

إن في كأس كل حب إطلاقاً وحتى في كأس أرقى حب
مرارة لا بد لكم من تجرعها ؛ وهذه المرارة هي التي تنبه فيكم
الشوق إلى الإنسان الكامل وتلهب فيكم الظما إليه ، أيها
المبدعون . إذا كان هذا الظما هو الذى يدفع بك إلى طلب
الزواج يا أخى ، وإذا كنت تشعر بشوقك يندفع كالسهم نحو
الإنسان الكامل ، فأتى أقدم إرادتك وأقدس زواجك
هكذا تكلم زارا

إن في الرجل من الطفولة ما ليس في الشاب ، فالرجل الناضج أقل حزناً وأقدر على فهم الحياة والموت ، لأنه يشعر بحريته للبوت وبحريته في الموت ، وإذا امتنع عليه أن يثبت شيئاً أنكره .

حاذروا أن يكون موتكم تجديفاً على الأرض والإنسان أيها الصحاب . تلك هي النعمة التي استجديها من وداعة روحكم ليرسل فكركم وفضيلتكم آخر أشعثهما في اختصاركم كما ترسل الشمس الغاربة آخر أنوارها على الأرض ، وإلا فإن ميتتكم ستكون فاشلة . إنني هكذا أريد أن أموت ليزداد حبكم للأرض من أجل ، أيها الأصحاب . أريد أن أعود إلى الأرض التي خلقت منها لأجد الراحة في احضانها

لقد كان زارا يرى إلى هدف وقد أطلق سهمه الآن فارموا إلى هذا الهدف بعدى ، لأنني من أجلكم أطلقت سهمي الذهبي . فأشهى شيئاً إشتهائي أن أراكم تطلقون سهامكم الذهبية أيضاً ، وسوف أبقى على الأرض قليلاً لا تمتع عيني بهذا المشهد ، فاغتنفروا إلى هذا التخلف إلى حين هكذا تكلم زارا . . .

الصلاح والعدل ، فإذا برأه أنه أن يعرف بعد ، وليس من قضية اجتماعية تخرج عن حدى دمة الضيف وكيد المستقرين في الحياة .

كان يريد زارا أن يبلغ عيسى ما بلغه هو من العمر ليجدد تعاليمه ويطلق جناحي نفسه فيحب الإنسان والأرض ، فهل بلغ أحد من مصلي الإنسانية باعتبار القضية الاجتماعية مستقلة جديلاً عن المسألة الروحية ؟ ما بلغه العبراني والعربي بعده من حب الإنسانية والتضحية في سبيل اصلاح الحياة .

وهل ليتشأنه أن يدعى أنه أتى بشيء جديد في فلسفته عند تصويره مبادئ الحياة ، أفليس كل ما أساب فيه مستمداً مما أوحى إلى رسل الله وأتباعه الأطهار ، أفليس كل ما حل فيه ناشئاً عن محاولته الاستئثار عن أنوار هذا الوحي . . .

مع التناسليات

معه التناسليات تأسس الدكتور ماجنوس لمرشدة قرية القاهرة بعمارة ريفية رقم ٤٦ شارع المدايق عيظون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع الاضطرابات والدراسه والشراة التناسلية والعقم عند الرجال والنساء ، ريميد الشباب والتجوزة المبكرة ويعالج بصفة خاصة سرعة القذف طبياً لأحدث الطرق العلمية والعبادة من ١٠-١٠٠ سنة ٤-٦ .. ملاعقة : يمكن اعطاء فصاع بالرسالة للمتميزين بعيداً عن القاهرة بعد أن يجيبوا على بمرسة الأسئلة اليكولوجية المحترمة على ١٤١ سؤالا التي يمكن الحصول عليها نظير ٥ قرش

ولكن من الأثمار كالتفاح من تقضى طبيعته الحامضة عليه أن ينتظر النضوج إلى آخر أيام الخريف ، فإذا هو ماثل للنظر باصفار الشيوخوخة وتجايد أساريرها .

ومن الناس من يدب الهرم إلى قلوبهم أولاً ، ومنهم من يدب الهرم إلى عقولهم ، ومنهم من يشيخون في ربيع الحياة ، غير أن من يبلغ الشباب متأخراً يحتفظ بشبابه أمداً طويلاً .

ومن الناس من ضلوا السبيل في حياتهم ، فاضاعوا عمرهم ؛ فعلى هؤلاء أن يعملوا على بلوغ التوفيق في موتهم على الأقل . وهناك أثمار لا تنضج لأنها سهرت في الصيف ولكنها تبقى معلقة باغصانها لأن جنبها يصدها عن السقوط . وهكذا نرى في العالم أناساً يلتصقون التصاقاً باغصانهم ، فهل من عاصفة تنهب على الشجرة لتسقط ما عليها من أثمار تهرأت ورعى الدود قلبها ؟ ليتقدم دعاة الموت العاجل وليهبوا كالعاصفة على دوحه الحياة ، غير أنني لا أرى غير دعاة للبوت البطيء يعطون بالصبر واحتمال كل مصائب الأرض .

انكم تدعون إلى مكابرة الأرض ومجالدتها ، أيها المجدفون والأرض صابرة عليكم صبرها الجليل .

والحق أن ذلك العبراني الذي يمجده المبشرون بالموت البطيء قدماء قبل أوانه ، ولم يزل جم غفير يعتقد بأن ميته المبكرة كانت مقدورة عليه

وما كان هذا المسيح العبراني قد عرف إلا دموع قومه وأحزانهم وكيد أهل الصلاح والعدل ، لذلك راودته فجأة شهوة الفناء .

ولو أنه بقي في الصحراء بعيداً عن أهل الصلاح والعدل لكان تعلم حب الحياة وحب الأرض ، ولكان تعلم الضحك أيضاً .

صدقوني ، أيها الإخوة ، إن المسيح قدماء قبل أوانه ، ولو أنه بلغ العمر الذي بلغت ، لكان جحد تعاليمه ، وقد كان له من النبل ما يكفيه لاقحام العدول عنها . ولكنه لم يبلغ النضوج ، ولم تبلغه المحبة في الشباب ، فكره الناس وكره الأرض . وهكذا بقيت روحه مثقلة ولم ينشر جناحه المهيض^(١)

(١) يعترف زارا بأن عيسى عرف دموع الشعب المظلم وغطرسه من يدمون

القصص

من القصص العربي

حديث سمر

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

على بساط من رمل الصحراء الآخر، وفي ثنية من ثنايا الجبل السامق نحو السماء، وفي جو رخاء يتعوج في جوانبه نسيم العشية البليل، أخذ القوم مجلسهم كالعادة يسرون ويتفكهون ! انهم فية شبا في ظلال الحفص والرفاهية، لم يقلهم من الدهر هم، ولم يشغلهم من الحياة شاغل، فكلهم في بيته سليل المجد، وريبب النعمة وأخو الفراغ والجدة. وكانوا من العمر في طور الشباب تغمرهم الأمانى الواسعة وتستخفهم الأحلام اللذيذة، فالدنيا ما زالت في نظرهم حلوة خضرة، تترامى لهم كالعروس قد جلتها يد الماشطة الصانع، فكلها اغراء وكلها فتنة، فتمردوا على العشيرة. وخرجوا على المجتمع، وجمعوا شملهم بالصدقة، وأقاموا الاخاء فيهم مقام القرابة، وشردوا عن أهلهم إلى البيداء، حيث مجال الحرية الواسع ومراد النظر السادر، وميدان الركض الفسيح ! وكان من عادة القوم أن يسمرُوا في بيدهم، وكانوا يجرون في سمرهم على نظام متبع، وحياة رتيبة، فهم في كل أمسية حول واحد منهم يسرى عنهم بالنادرة الباردة، ويفكههم بالملحة الشاردة، وكثيرا ما ينتهي بهم نحو الماضي المنصرم، فيقص عليهم من ذكرياته الحلوة الطيبة، ومصادقاته الغريبة وهام أولاء قد أخذوا مجلسهم على عادتهم في نظام واحد وأنصتوا. انتصب ذاكر منهم كان عليه حق الجماعة، ومن واجبه حديث السمر، في تلك الليلة فقال : لقد انحدرت مع قومي فيما سلف من الزمن إلى بغداد، فاكترينا داراً أشارعة على أحد الطرق المعمورة بالناس، وكنا في عيشنا نجرى على طبيعة الدهر من الرخاء والبؤس، فرة يغمرنا اليسر والرخد

وطورا يشملنا العسر والفاقة ! الله تلك النفوس الطيبة بالآخوان !
— لقد كنا لا نكر أن تقع مؤنتنا على واحد منا اذا أمكنه ؛
ولقد يبق الواحد فينا لا يقدر على شيء فيقوم به أصحابه الدهر الأطول، وكنا اذا أسرنا أكلنا من الطعام أليته، وانحدرنا إلى أسفل الدار، نتهب اللهو، ونحتاج العواطف بالطرب، فاذا ماعدنا ذلك انصرفنا إلى غرفة تتمتع منها بالنظر إلى الناس، ولكن لأعرف أن النيزد خلا من أيدينا على أية حال. فانا لنى يوم من الأيام، صادفنا فيه افتقار القوت، وسعدنا منه يوفرة النيزد، واذا بفتى يطرق علينا الباب طرقاتاً، فلما صعد إلينا بعد الاذن، ألفتناه حلوا الوجه، سرى الهيئة، ينبىء رواؤه عن الخير، ويدل مظهره على النعمة، ابتدأنا —
بالتحية واستمر يقول : لقد سمعت بمجتمعكم، وحسن منادمتكم وصحة الفتكم، وعلمت كأنما أدرجتم في قالب واحد، فاحببت أن أكون واحداً منكم فلا تحتشموني، وخذوني بأوضاع الأخوة لا بواجب الضيافة، فكنا في أنس بليقاء، ونشوة من حديثه، ولكنا كنا أيضاً في هم وفكر من تدير القوت له والحصول على الزاد الواجب لغدائه.
ولم يمض كثير حتى أشار الفتى إلى غلامه فوضع بين أيدينا سلة خيزران فيها طعام المطبخ من جدى ودجاج وفراخ ورقاق وأشنان ومحب وخلة، وأجبتنا صاحبنا إلى ما طلب من حق الأخوة فلم نحتشم طعامه فقططنا فيه، ثم أفضنا في الشراب، وأفضنا في الحديث، وانبسط الفتى معنا في الكلام، فاذا به أحلى خلق الله إذا حدث، وأحسنهم استماعاً إذا حدث، وأمسكهم عن ملامة إذا خولف. ثم أفضينا منه — على طول المقام — إلى أكرم مخالفة، وأجل مساعدة، وكنا ربما امتحناه بأن ندعوه إلى شيء يكرهه فيظهر لنا أنه لا يحب غيره، نطالع ذلك في إشراق وجهه، وانبساط أساريره، فصرنا نغنى به عن حسن الفناء، وشغلنا بأخباره وآدابه، وشغفتنا نواذره وأمالجه، ومع ذلك فما وقفنا على اسمه،

العباس ابن الأحنف وطبعاً سقط لكم شيء من أمري، وكان من خبري بعدكم أني تركتكم أطلب منزلي لحاجة، فإذا بالشرطة في طلي، وفي كثير من السرعة مضوا بي إلى دار الخلافة ودار الملك، فصرت إلى يحيى بن خالد فقال لي: ويحك يا عباس؛ إنما اخترتك من ظرفاء الشعراء لقرب ماخذك، وحسن تاتيك؛ وإن الذي نديتك في شأنه لجليل، فانت أعرف بخطرات الخلفاء، وإنني أخبرك أن ماردة هي الغالبة على أمير المؤمنين اليوم، وقد جرى بينهما عتب، فهي بدل المعشوق تأتي أن تعتذر، وهو بعز الخلافة وشرف الملك يتعالى على ذلك. فقل شعراً يسهل عليه سبيل الوصل، ويقرب له شقة المعاودة. ثم اطرحنى إلى غرفة خالية، وقدم القرطاس والدواة، وقال هيا يا عباس !!

ولا أكتبكم يا إخوان، لقد شرد مني الذهن، وتبدل الفكر، فتعذرت على كل عروض، ونفرت عن كل قافية، والرسول في كل فترة تعتنى، والأمير يستحني، فما زلت أحاول وأداول حتى انفتح لي شيء فجئت بأربعة أبيات رضيها إذ وقعت صحيحة المعنى، سهلة اللفظ، ملائمة لما طلب مني، وأخبرت عنها الوزير فقال في لهجة المستعجل: هاتها في أقل منها مقنع. وفي ذهاب الرسول ورجوعه قلت بيتين من غير الروي، ثم كتبت الأبيات الأربعة في صدر الرقعة وعقبت بالبيتين فقلت:

العاشقان- كلاهما متغضب وكلاهما متوجد متعب
صدت مغاضبة وصدت مغاضباً وكلاهما بما يعالج متعب
راجع أحببتك الذين هجرتهم إن المقيم قلباً يتجنب
إن التجنب إن تطاول منك ديب السلولة وعز المطلب
ثم كتبت تحت ذلك:

لا بد للعاشق من وقفة تكون بين الهجر والصرم
حتى إذا الهجر تهادى به راجع من يهوى على رغم
فدفع يحيى بالرقعة إلى من حملها إلى الرشيد، فلما وقف عليها قال: والله ما رأيت شعراً أشبه بما نحن فيه من هذا، والله لكأنني قصدت به قصداً، ثم أخذ يعاود قراءتها وهو يقول: نعم! نعم! راجع من يهوى على رغم، أي والله أراجع على رغي، لقد تهادى الهجر فلا بد أن أراجع، هات يا غلام النعل، ونهض فوصل ما انقطع

و البقية في ذيل الصفحة التالية،

ولاحقنا نسيه، وإنما عرفناه بأبي الفضل، وكنا ندعوه بذلك وجلس في يوم يطرفنا بنواده ويقص علينا شيئاً من تاريخه فقال: ألا أخبركم بم عرفتم، ولماذا أثرت صحبتكم؟ قلنا: إنا لنحب ذلك ونطمع فيه، قال: لقد أحببت جارية في جواركم، فشغفت نفسي حباً، وتدلته قلبي في هواها فكنت أجلس في الطريق أتمس اجتيازها فأراها! ودمت على ذلك حتى أخلقني الجلوس على الطريق، وأنكرت من نظرات السابلة، ورأيت غرفكم هذه، ووقفت على خبركم في العيش وأخذكم بالاتلاف والمساعدة، فكان الدخول فيما أتم فيه أسر عندي من تلك الجارية!

قلنا: هون على نفسك يا ابن العم، وتمن في تحقيق مأربك، وسنجد في اختداع الفتاة حتى تصير إليك! فقال: حسبكم يا إخوان: إني والله على ما ترون مني من شدة الشغف والكاف بها ما قدرت فيها حراماً قط، ولا تقديري إلا مطاوتها ومصابتها إلى أن يئن الله بثروة فأشترىها، وبغير هذا لا يكون الوصول إليها مني على بال.

وأضى الرجل في أخوتنا شهرين، فكنا في اغتباط بقربه، وأنس من صحبته، ثم خالسنا القراق على غفلة فنالنا بذلك ثكل ممض، ولوعة مؤلمة، وما كنا نعرف له منزلاً فنلتسه، ولا باباً فنطرقه. فوالله لقد كدر علينا بعده، بقدر ما طاب لنا بقربه، وجعلنا لا نرى سروراً ولا غماً إلا ذكرناه لأفضل السرور بصحبته وحضوره، والغم بمفارقته وغيبابه، فكنا فيه كما قال الشاعر:

يذكرنيهم كل خير رأيته وشر، فأأنفك منهم على ذكر
وتصرمت على غيبابه عشرون يوماً وكأنها الدهر، وما لنا مطمع في لقياه ثانية، فإن فترات الصفو محدودة، والحياة ضئيلة في إرجاع ما كان، فبينا نحن نجتاز الرصاة يوماً إذا به يطالعنا في موكب نبيل، وزى جميل، وما أبصر بنا حتى انحط عن راحلته وانحط غلامانه، وإنني ما زلت ألح في أعطاف الماضي وهو مقبل نحونا في لهفة يقول: والله يا إخواني ما هنا لي بعدكم عيش، ولا طاب لي أنس، ولا عرفت في نفسي معنى الصفو، ولست أملككم بخبري فاني أتبين فيكم اللهفة إلى ذلك فليوا بنا إلى المنزل وهو قريب، فلنا معه عن رغبة، ولما تم بنا المجلس قال: لقد آن لي أن أكشف لكم عن نفسي أنا

البريد الأدبي

العالم الإسلامي اليوم

اطلعنا في بعض الصحف السنوية الأخيرة على خلاصة آراء ومحاضرات يذيعها الدكتور بوليس جرمانوس المستشرق المجري في الإسلام والعالم الإسلامي الحاضر؛ وقد جاء الدكتور جرمانوس إلى مصر منذ عامين وقضى نحو أربعة أشهر في تعلم اللغة العربية وحج إلى مكة (لأنه يعتنق الإسلام)، ثم عاد إلى وطنه يلقي المحاضرات ويكتب المقالات العديدة عن العالم الإسلامي، ويعلن في كل فرصة أن أحداً لم يوفق مثل توفيقه إلى دراسة اللغة العربية وشئون العالم الإسلامي قاطبة. يد أن الدكتور يبدى في معظم الأحيان آراء لا تخرج في جللتها عما نسمعه عن كثيرين غيره زاروا البلاد الإسلامية زيارت طائفة، ثم زعموا أنهم يعرفون من أمرها ومن حاضرها ومستقبلها كل شيء، فهو مثلاً يقول عن اللغة العربية إنها تعتبر بالنسبة إلى اللغات (أو اللهجات) التي تتكلم بها الشعوب العربية مثل اللاتينية بالنسبة إلى اللغات الرومانية التي نشأت عنها، وهذا تشبيه هو أبعد الأشياء عن الحقيقة لأن اللغة العربية لم يصبها في أي عصر من عصور الركود ذلك الموت الذي أصاب اللاتينية ولأنها تكاد تكون بشكائها المصقول لغة الحديث العادي في الطبقات المستنيرة بالبلاد العربية، ثم يقول عن الإسلام

أنه أي الإسلام لا يجوز اليوم نهضة ما، وإنما الشعوب الإسلامية هي التي تجوز مثل هذه النهضة، وأن الشباب في جميع العالم الإسلامي يتأثر أشد التأثير بمبادئ مصطفى كمال وإصلاحاته، وأن مصر وسوريا والعراق وغيرها من الأمم الإسلامية ستسير في أثر مصطفى كمال وتتهج منهجه؛ والدكتور جرمانوس يخطئ في هذا الرأي أشد الخطأ، فقد أدركت الشعوب الإسلامية منذ بعيد ما تنطوي عليه الحركة الكيالية من الزيف والزيف والخصومة المضطربة للإسلام والعالم الإسلامي؛ ولم تبق الحركة الكيالية عنواناً لغير تركيا التي أخرجت من عداد العالم الإسلامي؛ ونستطيع أن نؤكد للدكتور جرمانوس أن مصر لم تتأثر في يوم ما ولن تتأثر بمثل هذه الحركات الإلحادية المفرقة. أما أن العالم الإسلامي لا يجوز اليوم نهضة ما، فكل الدلائل المعنوية والمادية تتم بالعكس عن نهضة إسلامية بعيدة المدى، وهذه حقيقة يقرها كثيرون ممن هم أبعد نظراً وأكثر خبرة بشؤون العالم الإسلامي من الدكتور جرمانوس.

وفاته عميد الشعراء الإنكليزي

أشارت الرسالة في العدد الماضي إلى وفاة الشاعر الإنكليزي جون درنكواتر، وكانت وفاته فجأة وهو في عنفوان قوته

لنا الجارية، وقال لها نمضي إليها فنشتريها، فحسبنا إلى صاحبها وكانت جارية حلوة ظريفة لا تحسن شيئاً، أكثر ما عندها ظرف اللسان وتأدية الرسائل، وكانت تساوى على وجهها خمسين ومائة دينار، فلما رأى ميل المشتري أسام بها خمسمائة فلما أجنباه بالعجب حظ مائة ثم حظ مائة، فقال العباس: مهلاً يا إخوان، إني والله أحتشم أن أقول بعد ما قلت، ولكنها حاجة في نفسي. فأكره أن تنظر إلى بعين من قد ما كس في ثمنها، دعوني أعطه الخمسمائة كما طلب، قلنا: وأنه قد حظ مائتين، قال: وإن فعل؛ فصادف ذلك من مولاهما رجلاً حراً فأخذ ثلثمائة وجعلها بالمائتين، وحملها إليه. الأرحم بالله العباس وطيب ثراه، فإنه مازال الينا محسنًا يرعى حق الأخوة فينا حتى فرق بيننا الموت. محمد فهمي عبد اللطيف

وكان الخليفة قد أذهله السرور، فلم يسأل عن الشاعر الذي أطربه، ومضت فترة الرجاء وحسبت أني نسيت فراودت نفسي بالانصراف وغدوت على يحيى أستاذته في ذلك فقال: مهلاً يا عباس لقد أسميت أنبل الناس، إن ماردة لما وصلها الخليفة سألت عما حملة على ذلك فعلت أنه الشعر، وقد همما وهم الخليفة أن يعرفا الشاعر الذي قدم لهما هذه اليد فجاء الرسول يسألني في ذلك فقلت له إنه العباس بن الأخنف، فأمر لك الخليفة بجائزة طائلة، وأمرت لك ماردة بأخرى، ولك مني يا عباس الثالثة، وإن من تمام اليد عندك ألا تخرج إلا في الزى الجليل، والمركب الفاره!! فهذا يا إخوان ما عاقني عنكم، فلهوا أقاسمكم ما نلت، وأشاطركم ما كسبت فابينا وأنى، وتمنعنا وأصر. م ذكر

ومركز الحركة الوطنية فيه ، وقد كان للعلاقى الانكليزية المصرية الجديدة أكبر أثر في جميع العالم الاسلامى
 — وهل لمصر علاقة سياسية مباشرة مع البلاد الاسلامية ؟
 — إن علاقى المسلمين - ونستطيع أن نقول الشرقيين - هي علاقى أخوة وأضامن واتحاد ، وإذا كان المصرى يهتم بقضية الخاصة فانه لا ينسى قط قضايا البلاد العربية الأخرى . وإنك لتجد أثر كل حادث يقع في ناحية من أنحاء الشرق يشغل القوس بسرعة في القاهرة
 — إذنت تعتقد جلالكم بوجود الوحدة الاسلامية ،
 — إن هذه الوحدة كما يفهمها الأوروبيون ليست موجودة ؛ ولكن الشعور بالاتحاد والتضامن يعمر نفوس جميع المسلمين
 إن الیقطة التي عمت البلاد الاسلامية - وخاصة البلاد العربية - بعد الحرب العامة ، بدأت تظهر بوضوح وصراحة . وسيكون للمسلمين شأن كبير في المستقبل القريب
 — وهل يضمر المسلمون روح « العداء للأجنبي »
 المسلمون كثيرون التسامح ، وهم لا يضمرّون عداً لآحد ، ولكنهم يطالبون بحريتهم واستقلالهم ، ويبدون استعدادهم لتوطيد علاقتهم الودية مع الأجانب

النقوش المصرية في الواحات المصرية

كثير تردد العلماء الأثريين في العهد الأخير على الواحات المصرية ، فظهر أنها ميدان حسن للبحث والتقيب ، ونثر العلماء فيها على كثير من النقوش القديمة التي ربما كانت ترجع إلى العصر الحجري ، وعلى كثير من النقوش الفرعونية قد صورت على الصخر ، وعلى جدران بعض الابنية القديمة التي كشفت عنها الرمال ؛ وفيها صور لبعض مناظر الحياة الاجتماعية القديمة والحيوانات الضارية منقوشة إلى جانب بعض الآلهة المصرية القديمة ؛ وعثر المنقبون أخيراً على صور من طراز آخر منها صور تجار من اليونان والرومان ، وصور قوافل عربية أو بربرية قديمة ، ويقول العلامة الأثرى الألماني الدكتور فنكلر أنه يستدل من النقوش المكتشفة أن الصحراء الواقعة على جانبي النيل كانت مسكونة منذ نحو ألفي عام من البدو ؛ وأن هذه القبائل كانت تجرى على مثل الفراغة في عبادة بعض الحيوانات المقدسة ، وتوجد صور رجال قد تدلت شعورهم على أكتافهم ورجال قد زينوا رؤوسهم بالريش ؛ ويستدل من صور السفن المنقوشة على أن هذه القبائل لم تكن مصرية الأصل ، وأنها إنما نزحت من شواطئ البحر الأحمر الشرقية إلى الصحراء ؛ وهذه النقوش أهمية خاصة في الكشف عن أصول الشعوب التي سكنت هذه الواحات في العصر الغابر .

وشاعريته ، ولما يبلغ بعد الخامسة والخمسين من عمره ، وقد لجع الشعر الانكليزي حقاً بوفاة درنكوانز ، ذلك أنه يعتبر منذ وفاة توماس هاردى ورديارد كيلنج عميد الشعر الانكليزي ، وكان مولده سنة ١٨٨٢ وتلقى تربيته في أكسفورد وبرمنجهام ، وبدأ حياته كاتباً في إحدى شركات التأمين ، وشغف بالمرح والشعر منذ فتوته وعاون في إنشاء مسرح برمنجهام التوقيعي الذي كان يشرف عليه الفنان الشهير السير باري جاكسون . وظهرت له أول مجموعة شعرية في سنة ١٩١١ بعنوان « الرجال والاوراق » ، Man and Hours ، وظهرت في نفس العام أول قطعة مسرحية له موضوعاً بالنظم ، ومنذ سنة ١٩١٤ يوالى درنكوانز اصدار مسرحياته ، وقد أحرزت جميعاً نجاحاً عظيماً ، منها « الثورة » ، Rebellion ، وهي شعرية ، و « السيوف والمحاريث » ، Sowrds and ploughshares ، يد أن أعظم قطعه المسرحية بلا مراء هي قطعه الشهيرة « ابراهيم لنكولن » ، وقد مثلت لأول مرة سنة ١٩١٩ ، ورفعت شهرته إلى السما كين ، وفي سنة ١٩٢١ ظهرت قطعه « أوليفر كرومويل » ، يد أنها لم تكن في نجاحها وروعيتها كما بقية « ابراهيم لنكولن » . وفي سنة ١٩٢٦ نشر درنكوانز رواية توماس هاردى الشهيرة « عمدة كستر بروج » ، في صورة مسرحية . وكتب درنكوانز أيضاً عدة فصول نقدية بديعة ؛ ومن أروعها وأقواها دراسته لحياة صديقه الشاعر روبرت بروك ، الذي توفي في اليونان أثناء الحرب الكبرى

ومنذ عدة أعوام تزوج الشاعر من الموسيقية الشهيرة ، ديزى كندى ، وهي سيدة بارعة في ثقافتها وفي فنها ، درست الموسيقى في فينا وبرعت في العزف على القيثارة براعة مدهشة ، وأحرزت شهرة عظيمة في جميع عواصم القارة .

ويذكر القراء أن الشاعر الكبير وزوجته الفنانة البارعة قدما إلى مصر في شتاء سنة ١٩٣٣ ، وسحرت ديزى كندى بفنها الرائع المجتمع المصرى الرفيع الذى هرع إلى سماع عزفها في الحفلات التي أقيمت يومئذ .

صاحب الجمهورية الملك فاروق يخرج عن اليهودية

قابل مندوب جريدة « ليزانال » ، جلالة الملك فاروق فأدلى إليه بالحديث التالي :

بدا الملك المحبوب حديثه قائلاً :

لقد أصبحنا حلفاء انكلترا وسنعرف كيف نحافظ على هذا التحالف . إن شعبى يعترف بالجيل ، وهو ينسى الماضى ، ويعترف بالحاضر ، ويفكر في المستقبل !
 إن مصر كانت ولا تزال « عاصمة الاسلام » في العالم الاسلامى



في سنن الله الكونية

تأليف الأستاذ محمد أحمد الصمراوى

عرض وتعليق - رجا الى لجنة ترجمة معاني القرآن الكريم -

واجب علمائنا الطيبين

للأستاذ عبد المنعم خلاف

تفضل حضرة الأستاذ الجليل العالم المؤمن محمد أحمد الصمراوى المدرس بكلية الطب بالجامعة المصرية والمتدرب للتدريس بكلية أصول الدين من الجامعة الأزهرية فأهدى إلى نسخة من كتابه الحديث « في سنن الله الكونية » فقلبت عيني فيه بشوق الذي يعرف علم الأستاذ بالطبيعة وبقه في الدين ، لأنى واحد من تلاميذ محاضراته ومحادثاته في العلم والدين في نادى المركز العام للجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة ، تلك المحاضرات التي كان لها كبير الأثر في أنى صرت وأخذت الاسلام بروح العلم وأخذ العلم بروح الاسلام ، كما يجب أن يكون وكما حققه هو في كتابه القيم ، اتباعا لمناهج القرآن وتلبية لدعوته العقول إلى الطبيعة

والكتاب في العلوم الطبيعية ، وقد درسه الأستاذ لطلاب قسم لوعظ والارشاد بالأزهر ، وقد اذنت به بما درسته في دور التعليم وما قرأته في المجالات العلمية من جهة ما فيه من مادة العلم الطبيعي فقط ، وأؤكد للقارىء الكريم أننى خرجت منه بأشياء جديدة كثيرة ما عثرت عليها في غيره على كثرة ما قرأت من هذه البحوث التي أحبا لأنها تصلنى بالحياة وقوانينها وسيرها بالأحياء ، في عبارة سهلة مشرقة محبوكة ، لأن المؤلف فوق أنه عالم طبعى كبير ، هو أديب ضليع ومنطقي يقظ لكل ما يدور حول ما يكتبه . يشهد له بذلك كتاب النقد التحليلي لكتاب (في الشعر الجاهلي) للدكتور طه حسين بك ، الذي بين به أن له قلما سابقا في الآداب كسبقه في العلم . وفي سنن الله الكونية ، يقع في ٢٢٢ صفحة عدا الفهارس وهو مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب : الأول في العلم والدين ، والثاني في المادة وأصلها وخواصها وأحوالها وأنواعها وتغيراتها ... الخ ، والثالث في الطاقة وأبحاثها وآثارها ... الخ

وأنت واجد في المقدمة إلهام بالمسلمين ومعاهد الدراسة الاسلامية ألا يغفلوا مباحث الفطرة وعلوم سنن الحياة لأن العلم بها جزء من العلم بدينهم وأصل من أصول قرآنهم الذي يتحدث بخمس آياته عن الطبيعة والنظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وكيف بدأ الخلق ... وأن يعلموا أن رجل الدين لا يسبغ العلم إلا إذا قدم له بروح الدين ، ورجل العلم لا يسبغ الدين إلا إذا قدم له بروح العلم ، وهى حقيقة نفسية يجب أن يلتفت إليها . وفي التمهيد بحث قيم عن موضوع العلوم الطبيعية وأثر دراستها في الوصول إلى فاطر الخلق والتوحيد بها بين العقل والقلب والعلم والعبادة .

أما الباب الأول فهو بحث جديد قيم عن العلم والدين ، جدير بأن يترجم إلى انجماع العلمية ، وأن يدرس في المعاهد الاسلامية ، لأن الأستاذ استطاع أن يبين بوضوح قرآنية اسم « العلم » بمعناه المحدود العصري ، وقرآنية « موضوعه » وقرآنية طريقته ، ففتح بذلك فتحة جديدة « لعلم الكلام » الذي يجب أن يكون في هذا العصر بعيدا عن منهج النظار والمتكلمين القدماء الذين كانوا يعتمدون على « تجريدات » الفلسفة اليونانية

إن قوانين العلم التي استخرجها الأستاذ من القرآن الكريم شيء ثمين جداً سيكون له أثر عظيم في تطور الفلسفة الدينية ، وفي لغت الانظار إلى القرآن الذي أتى بذلك قبل أن يأتي به فلاسفة العلم المحدثون بأحقاب وأزمان ؛ فالبرهان للإثبات ، والحذر من تطرق الظنى إلى اليقيني ، والغرض إلى الظنى ، ومنع الخاطئين الأشخاص في المبادئ ، ومنع التقاليد ، وتحكيم العقل العام ثم قانونا توافقاً وأطراد الفطرة ، ثم اعتبار أصل المشاهدة واستعمال الحواس ، كل أولئك استطاع أن يتبسط فيه الأستاذ المؤلف بالشرح والبيان وأن يستخرج مستنداته من القرآن الكريم ، وأن يحبك حكمة عليا باخراج قى أخاذ

وأضف إلى ذلك أنه عقد مقارنة بين العلم القديم والعلم الحديث بين فيها كثيراً من أغلاط العلم القديم التي جره إليها طريقته واقتراضاته . وقد وقع بعض المسلمين في خطأ كبير ولأنهم عظم باعتمادهم على ذلك الأسلوب الفرضي حتى لقد بلغ بهم

كما نفهمها نحن الآن . ولذلك كان القرآن يقول لهم : وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسيم لو تعلمون عظيم . سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، وإن في وقوف الأستاذ المؤلف وهو عالم بقوانين الضوء والظل وفي القرن العشرين من قوله تعالى : ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ، ومن قوله : ثم قبضناه إني قبضا بسيرا ، وقفة العالم أمام حقيقة لانزال نجاة . . لشاهدا قائما على أن في القرآن آيات لم تكن نازلة للجيل الذي شهد نزولها ، فلا يصح أن نتحاكم نحن إلى فهمهم فيها مادام الزمن (أ كبر مفسر للقرآن كما قال الشيخ حسن الطويل أستاذ الامام محمد عبده) قد أرانا بسير العلم وجها آخر يحتمله اللفظ ولا يأباه الأسلوب العربي ولا يضر القرآن شيئا أن تتغير الأوجه العلمية التي يفسر بها كل جيل آياته ، مادامت نصوصه هادية . وما دام كل جيل يجد فيه ما يرضيه ، فإن ذلك من أسرار إعجازه ومن عجائبه ، فإذا فهمنا نحن مثلا معنى اللقاح من قوله تعالى : وأرسلنا الرياح لواقح ، على أنه تلاحق كهربائي بين الموجب والسالب في السحاب كما فسر الأستاذ الغمراوي . وفهمنا سر الاستدلال على البعث من قوله تعالى : الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ، كما بينه الأستاذ فأعتقد أنه لا يضر القرآن أن فهم من قبلنا في هذين الموضوعين وغيرهما وأن يفهم من بعدنا غير ما نفهم نحن الآن . على أن الوجه العلمي متى صار حقيقة دخلت في صف الميراث العلمي الثابت ، فحتوم على المفسرين أن يأخذوا به ، كما يتحتم عليهم أن يؤولوا النص القطعي إذا لم يتفق ظاهره مع ما يلزمه العقل كتقرير القاعدة الأصولية .

وبعد فقد قرأت في مجلة الهلال عدد مارس سنة ١٩٣٧ قبل أن أقرأ كتاب الأستاذ الغمراوي ثلاث مقالات عن الذات الإلهية لثلاثة من كبار علمائنا الطيبيين هم : الدكتور علي توفيق شوشة بك مدير معامل وزارة الصحة ، والدكتور أحمد زكي بك مراتب مصلحة الكيمياء . والدكتور محمد ولي الأستاذ بكلية العلوم ، فإذا بالدكتور شوشة بك يقول : إذا كان هناك أناس أحق بمعرفة الله ودرك عظيمته والاقرار بوحدانيته فهم العلماء ، ذلك لأنهم أكثر خلق الله اتصالا بالطبيعة وأقربهم إلى لمس غوامضها ثم يقول : إنني كلما جلست إلى المكرسكوب أو انصرفت إلى التجارب في معمل لم أزد إلا خشوعا أمام تلك القدرة الإلهية .

الامر أن كانوا يردون القرآن إليه مع أن منهاج القرآن في طرق الانبئات والاستدلال واضح بينهم يشكر عليهم الشهود والوهم ، ثم عقد الأستاذ فصلا بين فيه أدوار النظر العلمي من جمع الحقائق بالتجربة والمشاهدة ، ثم استخراج القانون ، وبين طرق اكتشاف قوانين الفطرة بالاستقراء والتليس ، ثم ضرب مثلين يوضحان طريقة التليس ، وختم هذا الباب القيم بهذا الكلام البديع : وإن هذه الحقائق الطبيعية التي يكشف عنها العلم يحوته إن هي إلا نوع من كلام الله أو هي كلمات الله الواقعة النافذة كما أن آيات القرآن هي كلمات الله الصادقة المنزلة . وقد سمى القرآن حقائق أسرار الخلق كلمات الله في مثل قوله تعالى : ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله . (لقمان) . قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ، (الكهف) . وكلمات الله في هاتين الآيتين الكريميتين لا يمكن أن تكون كلماته المنزلة على رسله لأن كلماته سبحانه في كتبه المنزلة محصورة محدودة في حين أن كلماته المشار إليها في هاتين الآيتين لا حصر لها ولا نهاية . فلا بد أن تكون هي كلماته النافذة في خلقه والتي يبدو أثرها متجسما فيما نشاهد من الحوادث وفيما يكشف العلم من أسرار الكون . فالإسلام منسج للعلم كله حقائقه وفروجه ؛ والمجتهد مثاب خطأ أم أصاب مادام يريد وجه الحق ، وإن كان العلم لا يعرف إلى الآن أن سبيل الحق من سبيل الله .

أما بابا المادة والطاقة ، ففيهما يعرض الأستاذ الباحث الطبيعية عرض المطلع عليها في مراجع العلم القديم والحديث ، وفيهما مواقف ناجحة في تطبيق بعض الآيات الكونية في القرآن على حقائق العلم بما يضيف ثروة جديدة لنواحي إعجاز القرآن تمتلئ بها عقول الدعاة والوعاظ ؛ ففي مباحث الجاذبية والآثير والظواهر الجوية والتشكيل الخضرى والضوء والظل والقي حقائق أشار إليها القرآن بمجرد بكل مسلم أن يعرفها ويجدر بلجنة ترجمة معاني القرآن أن تنتفع بها ، فلا تقف عند ما كان يفهم منها العرب الذين أنزل عليهم كما أشارت إلى ذلك فيما وضعته من القواعد الأولية التي تيسر عليها في الترجمة ، فإن القرآن ليس كتاب جيل واحد ؛ ولنا أن نفهم منه غير ما كانوا يفهمون وبخاضة الآيات الكونية التي لم يكن علمهم ولا علم البشرية ليساعدهم . على فهمها

وإذا بالدكتور زكى بك يقول فى آخر مقاله الطويل الممتع كأنه قصيدة ، المطرب كأنه ترتيلة ، المثبت لوحداية الله بأسلوب عجيب .
« وبعد فتسألوننى : ما صورة الله ؟ تلك هى صورته : تلك المشيئة الهائلة العاملة التى لا تنام ولا تغفل ، تلك الإرادة الواحدة التى تنظم العالم جميعا ما عرفنا منه وما لم نعرف ، تلك البصيرة السافدة فى كل شئ ، الشاملة لكل شئ ، التى هى ملء الأرض والسموات التى أنا وأنت من بعضها ، تلك الوحداية الشائعة الجبارة الغامضة ، هى الصورة التى شاء الله أن نراها منه ،

وإذا بالدكتور ولى يقول « هنالك يشعر الباحث الذى لم يتحيز إلى أى مذهب فلسفى والذى جرد نفسه من المؤثرات التى انكبت عليه أن هنالك سلطة وأن هنالك قدرة فوق كل هذه المحاولات ، وتزهت عن كل هذه الصفات التى تعودها فى أثناء بحثه واستقرائه ، إلى أن يقول : « فأنه هو هذه القدرة الباهرة التى تجردت عن الماديات وتزهت عن كل ما هو مألوف للحواس ، قرأت هذا ثم قرأت كتاب الأستاذ الفمراوى الذى هو حجة من حجج إيمان العلماء ، فاذا بي فى عجب وأسف من أمر هؤلاء الذين لم يعرفوا من العلم إلا قشوره وزيفه وهم مع ذلك قد نصبوا أنفسهم دعاة للإلحاد وإنكار الله استنادا إلى العلم ! هؤلاء أكثرهم من الأدباء طالبي الشهرة الذين يغرم ما يصنعونه ، من الألفاظ ويخيل إليهم غرورهم وفتنتهم بما يقولون أنهم متى صنعوا جملة من الألفاظ فإن مواكب الزمان ستقف عن المسير ، وتنشق الأرض وتحجر الجبال هذا ، لأن أفلامهم هذه معاول فيما يخيل إليهم ، إذا ما عملوها فى أهول الحقائق وأعظمها وأملأها للكون ألا وهى « فكرة الله » فإن ذلك سيجعل البشرية تستجيب إليهم تاركة مافى طبيعتها وما تنادى به الأكوان والأزمان من الإيمان !

أجل إن أفلامهم معاول ولكنها لا تهدم إلا ضمير الجاهل أو طالب اللذة الذى يريد أن يتحلل من قيود هذه الفكرة ، ومن رقابتها .

فهل آن الأوان لأن يجرّد علماء الطبيعة - لأعلام الدين - حملة تدعو إلى الإيمان بالله عن طريق العلم ، حتى يدحضوا بها حجج أدعياء العلم والفلسفة ممن هم فى الواقع أعداء الجماعة وأنصار فوضى الضمائر والأوضاع كالشيعيين الذين يحاربون الإيمان بالله لأنه فى زعمهم منشأ الأوتوقراطية فيجب أن ينزلوه - تعالى عما يصفون - عن عرشه ، كما أنزلوا القياصرة والملوك !

إنى أعتقد أن ذلك من أوجب الواجبات على علماء الطبيعة

الذين يعرفون الله أكثر من غيرهم والذين ما غرر بالناس إلا من طريق الانتساب إليهم . ولن بغنى البشرية شيئا انتفاعها المادى من علوم الطبيعة مادامت لا ترى اليد الجبارة التى تدير قوانينها ، ولا تسجد لها طوعا كما تسجد كرها . وها نحن أولاء نرى الانسانية تستحيل إلى قطعان من الحيوان لها من العلم الطبيعى سلاح لا تلتطف وقعه تلك الفكرة الرحيمة التى تستمدّها الضمائر من « رحمان ، ولا يصده خوف من « جبار ، ولا يمنعه خشية « من قيوم ، على السموات والأرض ، « ديان ، للخلائق !

وإذا كانت علماء الطبيعة من غير المسلمين لا يعترفون بإله معابدم لأن له صورة غير صورة الإله الذى يحدون يده فى الطبيعة فهم لذلك بعيدون عن محيط الدعوة إلى الإيمان والدين . . . فان من حسن الحظ فى الاسلام أن إله الطبيعة الذى وصل إلى الإيمان به علماؤنا عن طريق الطبيعة . . . هو ذاته « الله ، كما يصفه القرآن الكريم الذى ماجد الطبيعة وظواهرها وما دعا إلى تعرف أسرارها كتاب مثل مادعا . . . بل لقد بلغ من اعتزازه بها أنه لم يترك ظاهرة من ظواهرها إلا أقسم بها . . . فأقسم بالزمان والمكان والحيوان والنفس والفجر ، والضحى والليل والنهار والنس والقمر والرياح والنجم والشفق . . . إلى آخر ما فى الدنيا من ظواهر الخلق والأمر . . . أفلا يجب بعد هذا أن يبين علماء الطبيعة المسلمون أسرار هذه الاقسام ؟ بلى إن ذلك من أمانة العلم قبل أمانة الدين

(بغداد)

عبد النعم فخر

مرض البول السكرى

نصيحة من مريض (الله تعالى) إلى المرضى

مررت بالبول السكرى والتجأت إلى كل الطرق لم أستفسر سوى استقامة مؤقتة تزول بزوال العلاج إلى أن وفقت الله تعالى إلى بعض أنواع بذور نباتات لم أهدأ إلا بمخلوطه « محمد طاهر الصاوى بوكالة أبو زيد المرزادى بصرة ليفرون ٥٢٥٢٠ ولم يكلفنى ثمن سوى مبلغ عشرة قروش صايف . واستعمالا مدة أربعة أسابيع كانت النتيجة مرضه بدأ . . . فقد ظهر منه نتيجة التحليل أن البول طبيعى بعد أن كان بنسبة ٥٥ فى الألف .
لذلك أخذت على نفسى عهدا أن أصبح بها المرضى وأعتقد أن العمل المذكور لا ينافى عرض رسالتي لكل مريض قديمة للانسانة منى لمرسل البقية بتمنى المرحور أحمد ك .